الحرافيش زمن المماليك

تأليف عامر نجيب موسى بركات

تشرين الثاني 2021

الفهرست

مقدمة

إن سيطرة الطبقة العسكرية على المجتمع عادة ما تفرز نظاما استبداديا من الناحية السياسية ، وفي الوقت نفسه نظاما اجتماعيا يكون الاساس فيه تحويل أبناء المجتمع إلى عبيد لهم ، فالسلطنة المملوكية الإقطاعية قد جعلت من الطبقة العسكرية الفئة المسيطرة على معظم مفاصل الحياة الاقتصادية ، وقامت بتجيير جميع أشكال الإنتاج لصالحها ، وبالتالي تسخير أبناء المجتمع لتحقيق هذا الهدف، فلم يحصل أبناء المجتمع إلا بما يكفي لاستمرار حياتهم، لأجل تحقيق هذا الهدف وإشباع الرغبات المتزايدة لهذه الطبقة .

لقد قام بهذا الدور في العصر المملوكي الطبقة المعروفة بالعامة ، وقد تميزت بكبر عددها ، وتعدد الفئات الداخلة بها ، والتفاوت بين أبنائها من حيث الثروة والمكانة ، ولكن أدنى فئات هذه الطبقة ما عرف بفئة الحرافيش ، أو ما يطلق عليها البعض في الوقت الحالي بأصحاب الملابس الرثة [1]، وتهدف هذه الورقة للإجابة عن عدد من الأسئلة المتعلقة بهذه الفئة ، تبدأ بما هو المقصود بهذا المصطلح لغويا ، وما هي العناصر المكونة لهذه الفئة ، وما هي صفاتهم ، وهل كانوا يخضعون لتنظيم معين ، وما هي طبيعة علاقاتها مع مكونات النظام السياسي وفئات المجتمع ، وأخيرا الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي كانوا يعيشون في إطارها .

الحرافيش

الحرافيش لغة واصطلاحا

كلمة الحرافيش جمع للمفرد حَرفوش ، ويعتقد أن أصل الكلمة عربي إما من إحْرَنْفَشَ أو إخْرَنْفَشَ بالخاء[2] ، أو من الحِرْبِش أو الحِربِشَة ، وقد تكتب حِرِّبِشَة[3] ،أو من الحِرْفِش أو الحَرافِش وهي نوع من الأفاعي، لأنها تحْرَنفَشُ إذا ما أرادت الوثوب والهجوم[4] .

أما إذا ما أطلقت على جماعة من الناس أو على إنسان ما فإنها تأخذ عدة معانٍ ، إذ قد تعني سفلة الناس وسقطهم وأراذلهم [5] ، أو من تميز بالغلظة، والفظاظة ، وقلة الأدب ، وعدم التهذيب ، والخروج عن اللائق [6] ، أو نعتا للرجل الغاضب والمتهيئ للشر[7] ، ومنهم من جعلها صفة للرجل العظيم الشديد ، والقوي البنية ، المتهيء للشر[8] عندما تنتفخ أوداجه [9] ، أما إذا قيل إحْرَنْفَشَ الرجال فتعني صرع بعضهم بعضا [10] ، كما جعلها البعض رمزا للرجل الذي كان يتعرض للبهدلة والإهمال، والإهانة الشديدة بعد أن كان في مكانة رفيعة ومرتبة عالية في المجتمع[11] ، أو ذلك الرجل الشرير الوضيع العاجز عن القيام بما أوكل إليه من مهام ، فأذل نفسه بامتهان السؤال طلبا للمساعدة والمعونة من الناس للخروج من أزمته [12] .

وقد جعلها البعض صفة لبعض الحيوانات مثل الديكة والماعز إذا ما تهيأت للقتال، فيقال إحْرَنْفَشَ الديك أي أقام شعر رأسه وإحْرَنْفَشَت الماعز إذا ما نصبت شعرها لتنطح صاحبتها [13] .

وذهب البعض إلى أن أصل الكلمة فارسي من خَرْدَفُوشْ أو الخَرْدَفُوشي أو الخرده فوشي [14]. وتعني الرجل العامي الجاهل [15] ، الذي يبيع الأشياء التافهة أو المستعملة ، في

حين رأى البعض أنها اشتقت من ذلك المعطف القصير الذي كان لباسا رسميا لإحدى الفرق الصوفية في إيران [16] .

من الواضح أن مصطلح الحرافيش كان سائدا في العالم الإسلامي خاصة مصر وبلاد الشام ، وأنه كان يطلق في القرن الرابع الهجري على تلك الفئة من السودان الذين كانوا يضربون على الدف والطبل، ويغنون ويرقصون في الشوارع[17] ، كما عرف أحد الأدراج بمدينة القدس بدرج الحرافيش[18]، ويبدو أن ذلك كان لاجتماعهم على هذا الدرج لقضاء أوقات فراغهم في المساء .

ويمكن تعريف الحرافيش بأنهم الطبقة الدنيا من فئة العامة من الحرفيين والصناع، والمتشردين والمتسولين واللصوص ، ولاعبي القمار ، من المعدمين والفقراء ، الذين لا يستقرون في مكان ، فتجد الواحد منهم اليوم في منطقة أو حارة ، وفي اليوم التالي في مدينة أخرى أو محل آخر ، لباسهم خفيف صيفا وشتاء ، وقذر ، ومجموع من الرقع المتباينة ، وممزق لكثرة الاقتتال مع الناس والمصارعة فيما بينهم ، وبدون أصدقاء ، ويرددون عبارات بأصوات مرتفعة ، وغير مفهومة في بعض الأحيان ، ولا يكترثون بأخلاق أو عبادات ، وقد يدمنون الخمر والحشيش إن وجد ، ولا يتورعون عن اعتراض الناس ليلا وسرقة ملابسهم وعمائمهم [19] .

فئات الحرافيش وتنظيمهم

تتكون جماعة الحرافيش من فئات مختلفة ، الغالب عليها الشحاذون (السُؤال/ المُكدًون / الجَعيدية) الذين اتخذوا من مهنة السؤال وسيلة رئيسة للتكسب والعيش ، مستخدمين وسائل مختلفة ، حيث كانوا يجلسون في الطرقات ، وعلى أبواب المساجد لاستغلال المصلين ، ولا يدخلون للصلاة مع الناس ، ويستخدمون الكثير من العبارات والألفاظ اللاأخلاقية في ابتزاز الناس ، فمنهم من يقسمون على الناس بألفاظ تقشعر لها

الأبدان ، فيقولون مثلا " لوجه الله فلس ، أو بشيبة أبي بكر فلس " وبعضهم يكشف عورته ويسير في الشارع شبه عريان بين الناس، مدعيا أنه لا يجد ما يستر عورته ، إلى جانب الكثير من الخدع السيئة [20] ، فيقسمون بالأنبياء والصالحين، ويتضجرون من سوء قلوب الناس، ويقولون " مقدار كيت وكيت ، باقول في حب رسول الله أعطوني هذا اليسير " ، كما ينضم إليهم فئة من أقوياء البنية وأصحاب الصناعات والمهن ، الذين يتركون عملهم ويقبلون على الشحدة ، باعتبارها الوسيلة الأسهل والأكثر ربحا [21] .

ويزداد أعداد الشحادين نتيجة لعدد من الظروف والأوضاع التي كان يعيشها المجتمع المملوكي ، فيكثرون في فترات الغلاء والمجاعات وأثناء انتشار الأوبئة والطواعين ، بحيث تكتظ الشوارع بهم ، ففي سنة 726 هـ/ 1326م كثر السؤال بمدينة دمشق بسبب الغلاء ، وافتقار عدد كبير من أهل المدينة [22] ، كما كثروا في الطاعون الأسود سنة 749هـ / 1346م حتى صاروا ينامون في طرقات المدينة وعلى المزابل [23] ، وفي ربيع الثاني عام 800 هـ / 1397م لوحظ ازدياد كبير في عدد السؤال بسبب الغلاء[24]، ولا يختلف الحال كثيرا في مدينة القاهرة عنه في مدينة دمشق ففي سنة 748هـ/ 1345م كثر السؤال في مدينة القاهرة على إثر هجرة عدد كبير من أهل الأرياف والنواحي إليها، ممن ضاقت بهم سبل العيش في أماكن تواجدهم[25] ، وبين سنتي 854هـ - 855هـ/ 1450-1451م ساد الغلاء في مدينة القاهرة فافتقر عدد كبير من الناس ، ممن لا مروءة لهم ، فانضموا إلى جموع الشحادين والسؤال في الطرقات [26] ، حتى لا يكاد المرء يمر في أحد الشوارع إلا وهم في إثره يكررون السؤال[27] ، ومما يشار إليه أنه في غلاء عام 694هـ / 1295 م مر على قطية 82 ألفا من الفقراء والغرباء الذين هاجروا إلى البلاد الساحلية، بعد ان امتهنوا السؤال (الشحدة) [28] .

ومن الجماعات الأخرى التي لجأت لهذه المهنة سفلة العوام من الفراشين والبابية، ومطيري الحمام [29] والأكفاء (العميان)، وأصحاب العاهات الذين فقدوا القدرة على العمل حتى لم يعد لديهم ما يأكلونه [30] ، والعتالين ومن يعمل في جمع النفايات ، أو حمل

الأموات، أو الضرب على الطبول[31] ، بالإضافة إلى ذوي الأمراض المزمنة [32] ، والعجم الذين اعتادوا الهجرة إلى القاهرة وامتهان الشحدة وإظهار الصلاح [33] ، ويضاف إلى هذه الفئات المساجين الذين كان صاحب السجن يخرجهم مكبلين إلى شوارع القاهرة، من أجل الشحدة لتسديد ما عليهم من نفقات ، كمقرر السجون والضرائب التي تفرض عليهم مقابل إقامتهم في السجن ، ثم يأخذ كل ما يتحصلون عليه ، ولا يبقي لهم إلا مبلغا بسيطا يكفيهم للبقاء على قيد الحياة [34].

لم تقتصر مهنة الشحدة على الرجال، حيث كانت النساء تشكل جزءاً من هذه الظاهرة فينتشرن في الأسواق، ويأخذن بالدوران على البيوت والوقوف أمام الأبواب [35] .

ومما يلفت النظر أن بعضا منهم لم يكن فقيرا ، فعند وفاة امرأة كانت تستعطي عند جامع ابن طولون وجد عندها مبلغ 700 دينار بين ذهب وفضة، وعدة أمطار من الفلوس ، وربع غزل نحواً من ثمانمئة ربعة [36] ، وفي سنة 917 هـ /1511م تم القبض على أحدهم فتبين أن لديه 170 دينارا ، وعندما سأله السلطان عن مصدر المال ادعى أنه قد ورثه ، وحاول السلطان أن يثنيه عن ممارسة هذه المهنة، بأن قرر له مبلغا من المال، يكفيه في كل يوم حتى ينتهي المبلغ الذي وجد معه ، فرفض ذلك وأخذ بالصراخ " أعيدوا لي مالي ، لا حاجة لي بكم ولا بكسوتكم" [37] .

وممن يدخل في فئة الحرافيش ايضاً تلك الفئة من الناس التي تعاني أوضاعا اقتصادية صعبة ، مما يجعل الحرفشة وسيلة للتهرب من واقعها الجديد ، فقد شوهد عدد من أمراء الألوف في أيام الأشرف شعبان ، وقبيل تولي السلطان برقوق سنة 784 هـ / 1382م قد تمفقروا ولبسوا عباءات من الصوف، وصاروا يسألون الناس [38] ، وأن التاجر الذي باع الأمير بيلك للظاهر بيبرس كان من أعيان التجار ، إلا أنه قد افتقر في آخر أيامه وانضم للحرافيش [39]، بالإضافة إلى تلك الفئة من سفلة العوام والرعاع، الذين كانوا يذهبون إلى المزينين (الحلاقين) لجب ذكورهم ، أسوة بتلك المبتدعة الذين يفعلون ذلك ،

بذريعة عدم قدرتهم على الحصـول علــى من يحبون ، ومنهم من يثقب أذنيه ويضع فيها حلقتين [40] .

ومن الشخصيات العليا التي انضمت للحرافيش ابن الصاحب علم الدين أحمد بن الصاحب صفي الدين يوسف بن عبدالله بن شكر(ت688هـ / 1289م) ، وكان في بداية حياته قد اشتغل ودَرَّس ، وتميز بأنه صاحب فضيلة وذكاء ، وحسن تصور ، ولكنه قد افتقر في آخر حياته بعد صراعه مع الوزير ابن حنا ، فأطلق طباعه على التكدي وصار يجاور الرؤساء ، ويركب في قفص حمال ، ويتضارب الحمالون على حمله ، لأنه مهما تحصل من الأموال أعطاه للحمال ، كما تعمم بشرطوط رقيق العرض ، وبدأ بمعاشرة الحرافيش ، فصار يلبس قميصا أزرق، ويمسك بعكازة حديد في يده ، وبدأ بممارسة بعض السلوكيات الغريبة التي تجعله من فئة الحرافيش ، ومن ذلك أنه اتصل مرة بالسلطان الظاهر بيبرس وهو يتجول بالقاهرة، وقال له إنه جائع فأعطاه الظاهر ثلاثة آلاف دينار ، وفي حادثة ثانية كان واقفا عند أحد الحلوانية، فرأى رجلا عرف بزحل ، كان يعمل على تجريد الناس ، فطلب من الحلواني إعادة النقود له ، فسأله لماذا ، فأجاب ألا ترى أن المشتري قارن زحل ،وبعد ذلك اتجه إلى ممارسة الأعمال الصبيانية واللاأخلاقية بالإكثار من السكر، وتعاطي الحشيش حتى قال يمجدهما :

في خمار الحشيش معنى مرامي   يا أهيل العقول والأفـهام

حـرمـوها مـن غير عـقل ونـقل   وحرام تحريم غير الحرام

وقال أيضا :-

يا نفس ميلي إلى التصابي   فاللـهو منـه الفتى يعيش

ولا تـملـي مـن سـكر يـوم   إن أعوز الخمر فالحشيش

وله :-

جمعت بين الحشيش والخمر فرحت لا أهتدي من السكرِ

يا من يريني لباب مدرستي يـربـح والله غـايـة الأجـرِ

وحضر في بعض الأيام درسا لأحد النقباء (ينوب عن المعلم)، وكان النقيب يقول بسم الله الرحمن الرحيم، باسم فلان الدين القليوبي أو المنوفي أو البهنسي أو الدمنهوري، فقال له: " والك هذه مدرسة أم منفض كتان يعني أنهم فلاحون " وحضر درسا آخر فبحثوا في أمر كثر الاختلاف فيه ، فقام وجلس في حلقة الدرس مشيرا إلى أنه يبول عليهم ، فقيل له :- ما هذا فقال لا بأس بالرجل يبول بين غنمه وبقره ، ودخل في أحد الأيام إلى مدرسة فسمعهم يغتابونه ، فوقف وبال عليهم ، فقيل له : - ما هذا؟ فقال: كل ما أكل لحمه فهو طاهر. وتصادف في أحد الأيام مع أحد العواهر في السوق ، وقد دخل الهواء في إزارها ، فقال :- والله ما ذي إلا قبة فقالت له: - كيف لو رأيت الضريح فوضع يده على متاعه ، وقال :- " كنت أهدي إليه هذه الشمعة " [41] .

ومن الحرافيش من كان يمارس بعض سلوكيات الصوفية التي تدّعي أن بإمكانها كشف الأحداث قبل وقوعـها ، كالشيخ محمد بن أبي الحسن البكري صاحب الشيخ عبيد الحرفوش ، حيث حصل له حالة من التجلي في مكة ، فأخذ يدور في المحلة التي كان يجـاور فيها ، ويصيح حوش حـوش يا حرفوش ، الآن وقعت فتنة في مكة وحشـناها ، وكان ينظر نظرة تعبر عن أنه يرى شيئا ويمسكه بيده كالأسد [42] .

يعد المشعوذون من فئة الحرافيش أيضا ، فقد استفتى السلطان سنة 819هـ / 1416م في شخص يدّعي أنه يصعد إلى السماء ويكلم الله ، وكان رجلا كثيف الشعر منتفش ، جاهلا بالأحكام الدينية والشرائع[43]، ومنهم شخص يعرف بشعيب أراد أن يبني له منزلا في منطقة تعرف بكوم الزَل، ناحية باب اللوق من القاهرة ، وعندما بدأ بالحفر وجد إناء من

فخار ومكاتيب ، فادعى أن المكان مسجد لأحد الصحابة ، فقام جماعة من الحرافيش بمعاونته فوجدوا محرابا ، ثم ادعى أن من كراماته أنه يقيم المُقعَد ويبصر الأعمى ، وصار كل من يأتيه من أصحاب العاهات يدخل إليه مقابل بعض الدنانير ، ويطلب منه عندما يخرج أن يصيح الله أكبر الله أكبر [44] ، ومنهم الأعاجم الذين ينتحلون الإلحاد ويصرخون بتعطيل الصانع (الله)، وينكرون شرائع الأنبياء ، ويجهرو بإباحة المحرمات [45] ، وسعدان بن عبد قاسم الكاشف المعتقد الذي قصده الناس من أصحاب العاهات لعلاج الأمراض المزمنة [46] .

ومن فئة الحرافيش أيضا المشردون ، مثل عبد الله الفاتولة الحلبي الدمشقي الذي كبر بالسن حتى بلي جسده ، وأصبح كالشن (القربة) التي يتميز جلدها بالخشونة ، وحرفوشا مكشوف الرأس منفوش الشعر ، يلبس الدَلْق وهو عبارة عن لباس من عدد من قطع القماش المختلفة، ومن قطع السجاد التي جمعها من عدة مناطق وخاطها كالدشداش، وغير نظيف، حتى علق عليه الوسخ ورسخ ، وكان غالبا ما يلحقه الأطفال للعبث معه فيزط (يصيح) ويبدأ بالنط وملاحقتهم ، ويحمل معه مجمرة يستدفيء بها في الشتاء ، فتعلق رائحة دخانها وفحمها وحطبها على جسده وملابسه ، ولا يصلي مع أنه عاقل ، ومن الغريب أن الناس تشهد له بأنه صاحب كرامات ، وكان يلازم الجلوس عند عَقَبة الكتان بدمشق ، دون أن يسأل الناس [47] .

وتذكر المصادر أن بعض الحرافيش وأبناءهم قد برزوا في العلوم والمعارف المختلفة كالشيخ عبيد الحرفوش (ت801 هـ /1398م) نزيل مكة ، حيث يوصف بالصلاح ، وأنه أخبر بتاريخ وقعة الإسكندرية قبل أن يهاجمها الفرنجة عام 767هـ/ 1365م بعدة سنوات ، لكن كانت تبدو منه كلمات فاحشة على طريقة الحرافيش بمصر، تؤدي به إلى الزندقة ، كما كان يلبس ألبستهم ، ومع ذلك فقد اعتقد بشكل مفرط [48]، بينما محمد بن علي بن محمد البدر أبو المحاسن بن نور الدين المحلي الشافعي ، ويعرف بابن الكبير ، لأن جده كان كبير الحرافيش ، فقد تسلم قضاء المحلة مع أنه كان يذكر بالسوء والأعمال غير المرضية [49] ، وأحمد حرفوش تلميذ الإمام العالم الأوحد[50] ، وإبراهيم الرضي أبو الفتح

الطبري المكي الشافعي الذي نشأ بمكة وحفظ القرآن وسمع على عدد من المشايخ والعلماء ، وناب بالإمامة في المقام الإبراهيمي ، وأكثر من التردد إلى القاهرة ، وانضم إلى الجعيدية ، وسكن معهم تحت القبو حتى مات في طاعون سنة 873هـ / 1468م [51] ، وأحمد بن صحصاح الإبشيهي الفيومي ويعرف بابن أبي حرفوش، مال إلى العلم ، وسمع من عدد من المشايخ ، ورحل إلى الشام وبيت المقدس ، وحج عدة مرات ، ورحل للهند ، ووضع بعض التصانيف [52]. ويونس الحرافيش بن محمد بن شعبان سلطان الحرافيش بدمشق ، الذي أصبح (يونس) أحد العلّامات بدمشق ، وحصل به بعض النفع عندما لازم المشهد الشرقي للجامع الأموي لإقراء الطلبة، كما عمل شاهدا بالمدرسة المؤيدية [53] ، وفاطمة بنت سعد بن عبدالله الكافي المكية بنت الشيخ عبيد الحرفوش [54] .

كان بعض الحرافيش يعملون بالتجارة كالتاجر الذي باع الأمير بيلك للسلطان الظاهر بيبرس ،الذي انضم للشحاذين بعد أن افتقر[55] ، وعبد القادر الحرفوش أحد تجار دمشق [56] .

أطلق مصطلح الحرافيش على بعض الشخصيات المرموقة في المجتمع، حيث لقب السلطان الناصر محمد بن قلاوون بالحرفوش [57] ، وعلى ما يبدو لأنه كان أعرج أي صاحب عاهة ، كما أطلق على الأمير أسندمر العلائي الحاجب المتوفي عام 766هـ / 1364م بعد أن تم نفيه من القاهرة إلى دمشق بسبب كثرة شروره [58]، وكذلك أستخدم هذا المصطلح للدلالة على فئة الجهلة والفسقة من الموظفين [59] ، وعلى سنقر الخازندار لقب الجعيدي مع أنه كان من الأمراء الكبار [60] .

يتضح من المصادر يأن الحرافيش قد انتظموا في نقابة خاصة بهم أُسوة بأصحاب الطوائف في العصر المملوكي ، وقد حمل رأسهم عدة ألقاب أبرزها سلطان الحرافيش ، الذي ظهر لأول مرة في عام 791هـ / 1389م ، عندما أراد السلطان برقوق إرسال عدد من الأمراء لقتال الناصري ومنطاش في دمشق ، حيث استدعى سلطانهم وأمره بمرافقة

الجيش [61] ، ثم أخذ هذا المصطلح يتردد في المصادر المختلفة [62] ، ، بالإضافة إلى إطلاق لقب كبير الحرافيش [63] وكبير الأسقاط والحرافيش [64] ، إلى أن استقر في بداية القرن العاشر بشيخ المشايخ أو شيخ مشايخ الحرف ، لإظهار نوع من الاحترام له ، باعتباره صاحب الشد والعهد لأصحاب الحرف والصنائع في المجتمع [65] .

تمثلت وظيفة سلطان الحرافيش في قيادة جموعهم عند المساهمة في الأعمال العسكرية [66] ، وضبط هذه الجماعة أثناء الاضطرابات العامة وأوقات الحروب الأهلية والمجاعات والأوبئة والطواعين والفتن ، ففي مجاعة سنة 841 هـ / 1437م استدعى السلطان برسباي سلطان الحرافيش وشيخ الطوائف وأوكل إليهم مهمة منع السُؤّال من التجول في الشوارع [67] .

تتسم النظرة الاجتماعية لرأس هذه الفئة وللحرافيش بدرجة عالية من الازدراء والاحتقار من المجتمع الشامي والمجتمع المصري في الوقت نفسه، بالرغم من محاولات بعضهم تغيير ذلك ، فإطلاق ابن طوق على سلطانهم ابن شعبان في دمشق وعلى سلطانهم رمضان في القاهرة لقب كبير الأسقاط والحرافيش لأكبر دليل على ذلك [68] ، وقد حاول سلاطينهم تغيير تلك النظرة بعدة وسائل منها إظهار علاقتهم بالسلطات العليا، ففي الفترة بين 888-901 هـ / 1483م-1495م حاول ابن شعبان سلطان الحرافيش بدمشق الايحاء للناس بأن له علاقات وطيدة مع السلطان بالقاهرة ، من خلال الادعاء بأن لديه علاقات خاصة مع السلطان قايتباي ، وعند الخروج لمقابلة السلطان قام بعمل موكب في شوارع دمشق لتوديعه ، وكذلك فعل عند عودته من خلال ترتيب موكب عام له، حيث كان يمر بين جموعهم بالصفق والطبل والموسيقى ، والادعاء بأن السلطان قابله باحترام وخلع عليه وأعطاه مرسوما ، إلا أن المرسوم قد ضاع من القاصد الذي أرسله ، وعندما وصل إلى المدينة استقبلوه عند أحد الأبواب، وداروا به في شوارع دمشق وهم يرقصون ويغنون حتى يصل إلى بيته ، ولم تنس نساء الحرافيش استقبال زوجته أيضا ، التي رافقته في إحدى لقاءاته مع السلطان ، وهن يضعن عصائب صفر، ويغنين من حولها إلى ان وصلت إلى البيت ، ثم أخذ ابن شعبان يشيع بين الناس الكثير من الأكاذيب حول مدى اهتمام السلطان

به والحظوة التي لقيها بالقاهرة، مع أن الروايات تشير إلى تعرضه للكثير من الإهانات ، حيث ضربه السلطان خمسمئة عصا تأديبا له، وأن السلطان أخذ بالتلاعب به وبزوجته والايقاع بينه وبينها لابتزاز الأموال منهم [69] ،وإرسال السلطان مرسوما للكشف عن أحواله [70] .

حاول سلطان الحرافيش تمتين علاقته بالطبقة الدينية ، حيث انضم في عام 886 هـ/1483م إلى القضاة الذين ذهبوا إلى القاضي الشافعي للإدلاء برؤية هلال رمضان [71] ، إلا أن الفقهاء كانوا يرونه غير مسلم حيث أجبروه في عام 888 هـ / 1483م على التشهد والإسلام [72] ، واتهموه باختلاس معلوم من المارستان المنصوري [73] ، وأخذوا يوقعون بينه وبين العامة والحرافيش مما أدى إلى مهاجمة بيته ونهبه [74] ، ومع ذلك فإن بعض المصادر تشيد بسلطانهم أمير علي بن علي الجعيدي بالقول إنه لم " يأت بعده في فنه مثله " [75] .

الحرافيش بين السلطة والمجتمع

أدركت القوى المختلفة في العصر المملوكي مدى القوة الشعبية لجماعة الحرافيش التي وصفت في تلك الفترة بأنها اهل " صلابة وجاه ودعارة " [76] ، وبالتالي ضرورة اتباع سياسة متوازنة اتجاههم ، تتميز باستخدام أقل وسيلة ممكنة من العنف ، واللجوء إلى المصانعة والمسالمة والاستقطاب لهم ، والاستفادة منهم في الأعمال العامة ، والحملات العسكرية والحروب الأهلية، والفتن الداخلية على الرغم من نظرة الازدراء لهم ، مع التأكيد على ضرورة كبح جماحهم خاصة عندما يتعدون الحد المسموح، ويتمادون في أفعالهم العدوانية.

ولكي نفهم أهمية هذه الطائفة لا بد من استعراض سياسة هذه القوى اتجاههم، وردات الفعل من قبل الطرفين ، فقد لجأ كل من السلاطين والأمراء إلى استقطابهم والتقرب

إليهم خاصة في فترات المجاعات والأوبئة والطواعين والصراعات على السلطة، فكانوا يتصدقون عليهم، ويوفرون لهم الطعام في هذه الفترات ويمنعوهم من السؤال، من خلال ترتيب ما يكفيهم حتى تنتهي تلك الأزمات [77]، فعندما حدثت المجاعة عام 662 هـ / 1264م رسم السلطان الظاهر بيبرس 658-676هـ/1260م-1277م بتسعير المواد رفقا بهم وبالفقراء ، ثم أمر بالنداء على الحرافيش وإحصائهم والاجتماع تحت القلعة، وبيع 500 إردب من الغلال في كل يوم من أجلهم ، وتوزيع الأموال على الضعفاء والأرامل منهم بقدر ويبتين فما دونها ، ثم أحصى الحرافيش في مصر والقاهرة وأخذ بتوزيعهم على جهات مختلفة ، بعد أن تعهد بعدة ألوف منهم ، في حين يشير آخرون إلى أنه قد تبنى 500 ، وفرض على إبنه الملك السعيد مثل ما فرض على نفسه ، وفرق على كل أمير نظير عدد جنده ، فأفرد للأمير بيلك 300 فرد ، ووزع البقية على مفاردة الحلقة والأكابر والتجار والشهود والمتعممين والبلديين كل حسب طاقته ، بحيث يعطى كل حرفوش مؤونته لمدة ثلاثة شهور، وهي رطلان من الخبز يوميا ، ويشار إلى أن هذا الإجراء لم يقتصر على مصر والقاهرة ، بل شمل جميع المدن في مصر آنذاك [78] ، كما جمع في سنة 664هـ /1266م اصحاب العاهات من الحرافيش وغيرهم في خان السبيل، وأمر بنفيهم إلى الفيوم، بعد أن أفرد بلدا للصرف عليهم وتوفير ما يحتاجونه ، ولكنهم رفضوا الاستقرار، وعادوا إلى القاهرة ومصر [79] .

ولم تختلف سياسة السلاطين الآخرين عن هذا النهج ، فعند وقوع الغلاء في عهد السلطانين كتبغا 694-696هـ/1295م-1297م ، ولاجين 696-698هـ/ 1297 -1299م أمر كل منهما بتوزيع الحرافيش والصعاليك والفقراء في القاهرة ومصر، والإسكندرية على الأملياء (الأغنياء) والتجار، وأرباب المعايش والأمراء والدواوين، لتوفير الغذاء لهم حتى انقضاء المجاعة والطاعون [80] ، وفي سنة 776هـ/1374م ضربت مجاعة قوية مصر مما دفع السلطان برقوق إلى تفرقة الحرافيش على الأمراء بقدر عدد مماليك كل واحد منهم فعلى أمير المئة مثلا تكفية مئة ، ثم وزع ما تبقى على التجار والدواوين والأغنياء والمباشرين، وامر بالنداء أن من وجد من السُؤّال في الأسواق والشوارع صلب،

ومن تصدق على حرفوش ضرب [81] ، فالتزم كل واحد بالعدد الذي أُلزم به والمقدار المحدد بما يسد رمقهم ، وعند تكرار المجاعة سنة 798هـ / 1396م رسم السلطان بتفريق الخبز على الحرافيش والفقراء، حيث بلغت عشرين إردبا من القمح في كل يوم ، حتى قيل إنه لم يمت أحد في تلك الغلوة ، وإن قسما من الحرافيش قد اغتنى، حيث كانوا يأخذون الخبز من أكثر من جهة في اليوم نفسه ويبيعونه [82] .

ولما تزايد الغلاء في دمشق سنة 808 هـ /1405م جمع الأمير شيخ الحرافيش بالميدان، وفرقهم على الأغنياء ، وأفرد جماعة منهم لنفسه، وعلى بقية الأمراء والتجار والقضاة، مما ادى إلى تراجع سؤالهم للناس [83] ، وعندما تولى السلطنة في مصر قام في عام 819 هـ /1416م بتفريق الأموال على السؤال، فأعطى كل واحد منهم خمسة مؤيدية ، حتى بلغ قيمة ما فرقه عليهم أربعة آلاف دينار، ثم أقر الخبز لهم مدة شهرين، بحيث بلغ في كل يوم ستة آلاف رطل [84]، وقد مورست هذه السياسة في جميع الغلوات .

لجأ بعض السلاطين إلى وسائل أخرى لاكتساب الحرافيش ، ويبدو أن منهم من حقق درجة عالية من المحبة والقبول ، حيث تميز السلطان لاجين بالتقرب إليهم بشتى الوسائل ، حتى أصبح لديه شعبية كبيرة بينهم، فأطلقوا عليه مصطلح " قضيب الذهب " فعندما كان يلعب الأكرة سقط وانكسر أحد أضلاعه، فأظهر الحرافيش حزنا شديدا عليه ، فعندما تعافى وخرج إليهم احتشدوا حوله وأخذوا بإظهار مدى سعادتهم بشفائه وحبهم له [85]
.

تمّيز الناصر محمد بن قلاوون في سلطنته الثالثة 709-741هـ / م1309-1340باكتسابهم بعدة طرق ، فقد أصدر العفو عنهم عند قيامهم ببعض الاضطرابات العامة ، وتجاوب معهم في بعض مطالبهم ، فعندما أمسك الأمير طشتمر والأمير قطلوبغا الفخري وقفت له الحرافيش وطالبوه بالعفو عنهم ، فنفّذ رغبتهم وأطلق سراحهم [86]، ولذلك فقد حافظ الحرافيش على ولائهم لعائلته من بعده ، ففي عام 742هـ/ 1341م طلب الحرافيش

من الأمير أيدغمش تزويدهم بالمؤن حتى يذهبوا إلى السلطان حسن بن محمد بن قلاوون إالمقيم في الكرك بعد عزله ونفيه، لإعادته إلى السلطنة ومرافقته أثناء العودة [87] ، وعندما مر السلطان شيخ بأحد الفقراء يسأل الناس شيئا من القوت قال له أنا أسير وهذا قيدي فتأسف عليه وقام بإعالته [88] .

أما علاقة الحرافيش مع الأمراء والموظفين فتختلف من واحد إلى آخر بناءً على الظروف السائدة ، فهناك عدد من الأمراء الذين تميزوا بعلاقات جيدة ، من خلال تقديم المساعدات المالية والطعام لهم ، ولذلك فعندما قبض السلطان الناصر على الأمير طشتمر حمص أخضر وقف له الحرافيش ، لكثرة صدقات هذا الأمير عليهم وعلى الأيتام ، ولم يتورعوا عن مناداة السلطان بعبارة تدل على عدم الاحترام له بقولهم " يا أعرج النحس أخرجه " ، مما اضطر السلطان للعفو عنه[89] ، واستخدمهم الأمير منجك في ثورته عام 751هـ / 1350م كقوة ضغط بأن طلب من مماليكه عدم القتال، والاكتفاء بتهديد خصومه بالمناداة أنهم إذا لم يرتدعوا فسوف يسمح للحرافيش بنهب بيوتهم [90] .

وهناك فئة من الأمراء والوزراء وأصحاب الوظائف الذين لم يتورع الحرافيش عن الوقوف ضد أعمالهم ، ففي سنة 691 هـ /1292م وقفوا ضد الصاحب شمس الدين الذي كان قد اقترح بسط الشقق الحرير تحت أقدام الخيل، بعد عودة السلطان منتصرا من فتح قلعة الروم في بلاد الأرمن ، ولما انتهى الموكب اخذ الصاحب بجمع هذه الشقق من أصحابها ومن الحرافيش الذين تناهبوها مقابل إعطائهم مبلغاً بسيطاً، فما كان من الحرافيش إلا أن وقفوا للسلطان وأوصلوا إليه مدى الضرر الذي وقع عليهم ، مما دفع السلطان إلى إجبار الوزير على إعادة الشقق لهم [91]، وبعد ثلاث سنوات وقفت الحرافيش إلى جانب الأمير كتبغا ودعموه في الوصول إلى السلطنة على حساب الأمراء الآخرين ، فأحضروا في بعض الأيام ثلاثة من المماليك بعد أن عروهم [92]، ولما أدرك الامير كرجي عام 698 هـ / 1299م أن المماليك يريدون قتله حاول الهرب نحو القرافة، فتبعته الحرافيش وأخذوا بالصياح عليه ومطاردته بسبب كرههم له [93] .

كما وقفت الحرافيش ضد الأمير بيبرس الجاشنكير بعد أن تسلطن عام 709هـ / 1309م، والذي عندما سمع بعودة الناصر قام بنهب أموال بيت المال والهرب ، فتبعته الحرافيش في شوارع القاهرة وأخذوا برجمه، ولم يتمكن من الإفلات منهم إلا بعد أن نثر عليهم أكياسا من الذهب وانشغلوا بجمعها (94) ، وكذلك وقفوا ضد سياسة النشو والضامن الفأر المجحفة في سنة 737 هـ/ 1336 فلما ألقي القبض على النشو سنة 740 هـ / 1339م واظهروا الفرح، وهموا برجمه ورجم جماعته . وعند وفاة أخيه رجموا تابوته كنوع من التعبير عن مدى كرههم له (95) .

هاجم الحرافيش كذلك موظفي الدولة عند عدم الرضى على سلوكهم ، فعندما وصل والي قوص إلى القاهرة خرجت الحرافيش لرؤيته بقصد قتله ، لولا حمايته من قبل الأمير أيدغمش (96) ، ورفض الحرافيش إسناد ولاية القاهرة لجمال الدين يوسف والي الجيزة بدلا من الأمير نجم الدين، الذي دفع لهم الأموال لفعل ذلك ، فرجموه وأجبروا السلطان على الانصياع لهم وإلباسه الخلعة قائلين، لا نأخذه إلا بخلعة واحتفلوا بذلك ، ثم أجبروا أيدغمش على تزويدهم بما يحتاجونه، لإحضار الناصر حسن من منفاه بالكرك تحت قيادة والي اللوق الذي كان من اختيارهم ، بعد أن أعطى كل واحد منهم نقرة ومئة درهم (97) ، وأهانوا الأمير قطلوبغا الفخري ونكّلوا به مما اضطر الأمير أيدغمش لإلقاء القبض عليه إرضاءً لهم (98) ، وعندما عاد أولاد الناصر محمد بن قلاوون الذين تم نفيهم قبل ذلك إلى مدينة قوص هرعت العامة والحرافيش لاستقبالهم، وقالوا لهم هذه تربة الذي قتل استاذنا، فهاجموها ونهبوا كل ما فيها، وحولوها إلى كوم من التراب ، وعندما التقوا بالأمير جمال الدين يوسف والي الجيزة طلبوا تمكينهم منه، فوافقوهم على ذلك ، لأنه عندما نفاهم طلبوا منه بعض الطعام فرفض وقال لهم اذهبوا إلى لعنة الله ما عندنا شيء ، فهاجموا بيته وتحاربوا مع إخوته ومع الأمير أيدغمش، ومع جماعة والي القاهرة حتى قتل منهم عشرة أنفس ، بالرغم من أنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى غرضهم (99) .

وكانت الحرافيش تكن كرها بالغا للأمير أغرلو شجاع الدين مملوك سيف الدين الحاج بهادر المعزي، بسبب كثرة سفكه للدماء عندما تولى ناحية أشموم طناح ، والقبض

على الأمراء وأولادهم حتى بلغ عدد من قتل منهم ثلاثين نفرا ، فلما مات سنة 748هـ /1347م ، قامت الحرافيش بنبش قبره وإخراج جثته وأقاموه وهو في زي عظمته ، وجعلوا يشاورونه كما كان يفعل في حياته من باب السخرية ، ثم نكلوا بجثته ومثلوا بها ، ونصبوه بعد ذلك على أثلة – نوع من الشجر الطويل المستقيم الجذع – مما أغضب السلطان وأمر الأوشاقية بالنزول إليهم ، فقبض على عدد منهم وعاقبهم بشتى أنواع العقوبات ، التي تراوحت بين القطع للأيدى والأرجل والتعذيب والضرب [(100)] .

وفي سنة سنة 782 هـ / 1380م وقفت العامة ضد الأمير بركة عند ثورته على الأمير برقوق ، فاحرقوا باب بيته وقاموا بنهبه [(101)]، وفي سنة 775 هـ / 1373م وقف أحد الحرافيش تحت سور القلعة وأخذ يصيح بصوت مرتفع اقتلوا سلطانكم ترخص أسعاركم [(102)]، ووقفوا للسلطان برقوق عند عودته من رحلة صيد بالجيزة عام 799هـ/1397م بعد أن رجموا المحتسب وطالبوا السلطان بتغييره بالمخانسي الذي دفع لهم الأموال لفعل ذلك ، مما اضطر السلطان للاستجابة لطلبهم [(103)] .

أما في دمشق فإن تعامل الحرافيش مع الأمراء والموظفين أخذ طابعا مختلفا ، فقد اعتادوا عند تعيين نائب الغيبة أو الدوادار أو الخازندار على الاحتفال بهم، وتنظيم المواكب، ومرافقتهم بالدق والطبل، والأغاني في شوارع المدينة [(104)] ، وكذلك الاحتفال بهم عند الخروج في الحملات العسكرية وعند العودة [(105)] ، كما بادر الأمراء إلى اكتسابهم من خلال إكرام سلطانهم والخلع عليه [(106)] . وكذلك احتفلوا بالموظفين الذين كانوا يرضون عنهم ويحبونهم، فقد احتفلوا سنة 893 هـ / 1488م بتنازل القاضي الشافعي محي الدين الإخنائي عن نظر المدرسة البادرائية لغيره ، وكذلك بلبس عمر الترجمان خلعة الترجمة[(107)] .

ومع ذلك فإن السلطنة والأمراء كانوا يلجأون إلى اتخاذ إجراءات صارمة للحد من تحركاتهم وسلوكياتهم السيئة عند الضرورة ، ففي فترة الاضطرابات العامة كانت الدولة

تعتقل بعضا منهم وتعاملهم معاملة قطاع الطرق من قطع للأيدي والأرجل ، والضرب والسجن ، ومنعهم من السؤال في الأسواق والأحياء، خاصة عندما يستخدمون ألفاظ القسم بالرسول والصحابة (108)، وعندما هاجموا نساء تجار الفرنج المقيمين في سوق خزانة البنود ، وعندما أساءوا الأدب مع الفقهاء والقضاة سنة 743 هـ /1347م هاجمهم الوالي ونكّل بهم (109) ، وعندما اندلعت الحرائق في خط البندقانيين ، قام الوالي علي الكوراني بإلقاء القبض عليهم، وتقييدهم وسجنهم، خوفا من استغلالهم لذلك في النهب والسلب ، وجمعهم من البيوت والطرقات ، ولم يفرج عنهم إلا بشفاعة الأمراء فيما بعد (110) .

لعب الحرافيش دورا مهما في التصدي للقوى الخارجية من الفرنجة والتتار والبيزنطيين والأرمن، إما كتشكيلات شعبية أو المساهمة تحت قيادة سلطانهم كقوة مساندة للجيش ، وقد ظهر هذا الدور لأول مرة في سنة 616 هـ /1219م عندما هاجم الفرنجة دمياط لاحتلال مصر ، حيث قاموا بمجموعة من العمليات الفدائية، فقد كان الواحد منهم يضع رأسه في قشر بطيخة ويعوم في الماء ، فإذا ما اقترب الفرنجي لالتقاطها أمسكوه وأخذوه للجيش الإسلامي ، مما أدخل الرعب والخوف في قلوب الفرنجة من كل ما هو عائم (111) ، ثم تكرر هذا الفعل في معركة المنصورة سنة 647-648هـ/1249م- 1250م حيث كانت الفرنجة تخاف من الحرافيش أكثر من العسكر (112)، فقد لقي الإفرنج من الحرافيش في عيد الفطر ما لا يوصف، فقتلوا واختطفوا عددا كبيرا منهم ، فإذا ما شاهدوا الفرنج في أحد المناطق يدخلون رؤوسهم في قشرة بطيخ ، أو يلجأون إلى حيل أخرى ، ويقطعون إلى البر المحاذي لهم ، فإذا ما حاول الفرنجي اختطافها والتقاطها اختطفوه وقتلوه(113) .

وفي عهد الظاهر بيبرس ساهمت الحرافيش في فتح أنطاكية في عام 666هـ/1267م، وأخذوا بنهب المدينة بعد فتحها ، مما دفع السلطان إلى جمعها منهم وتوزيع ذلك على الجند والأمراء (114) .

وساهموا كذلك مع السلطان الأشرف خليل بن قلاوون عند سيره لفتح عكا 690-691هـ /1291م، ووقفوا ضد محاولة الفرنجة توقيع هدنة مع السلطان مقابل دفع جزية سنوية قبيل المعركة ، مرددين بصوت واحد " لا نصطلح مع هؤلاء الملاعين " ، مما جعله يتراجع ، ولما دخلوا المدينة قاموا بنهب كل ما هو نفيس بها ، والكثير من الكنوز والتحف وباعوها للتجار ، حتى قيل أن منهم من كسب أكثر من ألفي دينار ، فقد كسب واحد منهم ويدعى ظبيان ألفاً وسبعمئة دينار وعشرين ألف درهم (115) ، وعندما هاجم الفرنجة الإسكندرية عام 767 هـ/ 1365م شاركت الحرافيش في التصدي لهم، مع أنهم لم يكونوا مسلحين ، وأخذوا بسب ملك قبرص بأبشع العبارات والألفاظ (116) .

كما ساهمت الحرافيش في محاربة التتار في الشام ، فساهموا في وقعة شقحب سنة 702هـ / 1302م ، وبعد هزيمة التتار أخذوا في تتبعهم في الحقول والبساتين وقتل عدد كبير منهم خاصة ، بعد أن أصدر النائب قرارا أن من يجد واحدا منهم فليقتله ولا يأتي به للنائب (117) .

واندفع الحرافيش نحو مدينة آياس سنة 737 هـ / 1336م في خضم الصراع مع البيزنطيين والأرمن ، فوقفوا ضد سياسة والي حلب الذي كان يرى ضرورة عدم الهجوم السريع والانتظار إلى وصول المنجنيقات والزحافات نظرا لخطورة الموقف ، إلا أن الحرافيش رفضوا رأيه واتحدوا مع الجيش المصري، وأخذوا باتهام النائب بالخيانة، وأخذ البراطيل من صاحب المدينة ، واندفعوا نحو المدينة مما أدى إلى خسائر كبيرة في صفوفهم ، فأخذ والي حلب بلوم الجيش الذي وافقهم على رأيهم ، وأن الأولى أن لا يتم التوافق معهم، نظرا لأنهم لا علم لهم بخطط الحروب النظامية (118) .

كان استغلال الحروب الأهلية والفتن بين الأمراء عبارة عن الفرصة الأنسب لتعبير الحرافيش عن مدى سخطهم واستيائهم من الدولة والجماعات الأخرى ، فقد دعموا الأمير كتبغا في عام 694 هـ /1295م عندما استولى على السلطة ، ووقفوا ضد ازدياد نفوذ

النصارى في مرافق الدولة المختلفة ، فكانوا عنصرا أساسيا في مهاجمتهم ونهب كنائسهم والاعتداء عليهم، وإهانتهم في الفترة بين 692-721 هـ /1293م – 1321م .

وتعد الثورة على الأمير قوصون سنة 742 هـ /1341م من أكثر الثورات التي تعكس دور الحرافيش في هذه الأحداث ، فقد وقفت الحرافيش ضده منذ اللحظة الاولى بسبب ما يكنون من كره له ، نتيجة لسوء معاملته لأولاد الناصر محمد بن قلاوون من قتل للسلطان أحمد ، ونفي بقية أبنائه إلى الكرك وإلى مدينة قوص ، فقاموا بدعم الأمراء الغاضبين من سياسته بعد أن قبض وقتل عددا منهم ومن أبناء الأمراء ، واستحواذه على عدد كبير من المماليك السلطانية واصطفائهم له من دون رغبتهم ، فبدأوا بمهاجمة مماليك الأمير قوصون منذ بداية الثورة ، باستخدام المقاليع والرجم بالحجارة، خاصة بعد أن قام بالقبض على عدد منهم وإعدامهم، أو قطع أعضاء بعضهم ، ثم اتجهوا إلى إمساك اتباعه ومماليكه، وتعريتهم وايساعهم ضربا وإهانة قبل تسليمهم للأمير أيدغمش المناويء لقوصون ، ثم تزايد غضبهم على قوصون بعد أن أمعن في محاربتهم وإلقاء القبض عليهم ، بدلا من محاولة اكتسابهم بإصدار العفو عنهم وإعطائهم الأموال ، حيث قام بتسمير عدد منهم، وتوسيط البعض، وصلب تسعة على باب زويلة وقطع أعضاء آخرين ، وعندها طلبوا من الأمير أيدغمش أن يسمح لهم بنهب ممتلكاته وممتلكات أتباعه ، وما أن سمح لهم حتى بدأوا بالهجوم عليه صائحين بصوت واحد " يا مخامرين خبز السلطان الناصر حرام في جلودكم " ، فبدأوا ببيته واسطبلاته لما كانت تحتويه من كثرة الأموال، وأنفس المجوهرات التي استولى عليها أثناء سيطرته على الدولة بعد وفاة الناصر ، وأتبعوا ذلك بالهجوم على أتباعه ، حتى اغتنى قسم كبير منهم من ذلك، وبذلك فقد عد الحرافيش أحد أهم أسباب هزيمة الأمير قوصون، وإلقاء القبض عليه ومقتله [119] .كما انضمت الحرافيش في سنة 859 هـ/ 1455م للمماليك الأجلاب والظاهرية (جقمق)، للانتقام من السلطان اينال بسبب ما فعله مع السلطان عثمان بن جقمق، من عزل واستيلاء على السلطة [120] .

وتكشف العلاقة بين الطبقة الدينية والحرافيش جانبا مهما من تأثير الحرافيش في المجتمع المملوكي ، فقد دعمت الحرافيش، القضاة والفقهاء الذين اعتقدوا الصلاح فيهم ،

وفي الوقت نفسه وقفوا ضد الفاسدين منهم ، فقد سار الحرافيش في موكب القاضي نجم الدين بن مفلح الحنبلي عندما لبس خلعة الاستمرار من السلطان في عام 885هـ /1480م [121] ، وبعد خمس سنوات رافقوا موكب القاضي الشافعي بالمغاني بعد لبسه الخلعة [122] وتكرر ذلك في عام 897هـ / 14922م عندما لبس القاضي الشافعي الجديد الخلعة حيث اصطحبوه بالأغاني ودق المزاهر [123] ، وبعد أن صلى القاضي الشافعي صلاة العيد سنة 903هـ / 1497م ولبس الخلعة أوكبت له الحرافيش وخرجوا معه وهم يضربون على الدفوف والطبلخاناة والغناء أمام بيته [124] ، كما ساهموا في توديع قافلة الحج في نفس العام [125] ، وفي الجانب الآخر حاول بعض الفقهاء التقرب إليهم ، إذ قام القاضي الشافعي بالشفاعة لسلطانهم ابن شعبان بعد أن ضربه خازندار النائب في دمشق خمسمئة عصا، بسبب معلوم كان يتقاضاه من المارستان النوري [126] ، وتزوج القاضي الباعوني من ابنته في عام 903 هـ /1497م [127] .

وفي الجانب الآخر فقد تعرض بعض الفقهاء لغضب الحرافيش بسبب ممارساتهم غير المقبولة ، حيث وقفوا ضد القاضي حسام الدين الغوري في عام 743 هـ / 1342م فهاجموه وأحرقوا عمامته ونتفوا لحيته ، وقطعوا ثيابه ، وجروه في الشارع وضربوه بالنعال ضربا مؤلما ، وهاجموا بيته ونهبوا كل ما فيه حتى اقتلعوا خشب الرفوف منه [128] ، لأنه كان قوصونيا ، ويفسق بنساء المسلمين ويتعاطى الحشيش [129] ، كما رفضوا في العام التالي الصلاة خلف السبكي في صلاة الجمعة ، وفي الجمعة التي تلتها أفحشوا عليه في السب والكلام، وشنعوا فيه مما اضطره إلى ترك الخطابة [130] .

ومن الملاحظ وجود علاقات قوية بين الحرافيش والفرق الصوفية ، في عدد من الأمور أهمها الزهد والتقشف ، والثياب المرقعة المزرية ، ولبس الخرقة والعصائب الخاصة ببعض الطرق الصوفية ، واعتماد الحرافيش على الخوانق والتكايا للحصول على الطعام والمبيت المجاني ، والانهماك في الملذات والمغاني وترديد الأناشيد [131] ، واستخدام الحشيش في تأدية بعض الطقوس والشعائر الخاصة في المناسبات الدينية خاصة

الموالد ، والتوافق على عدم تحريمها ومقاومة كل من يحاربها أو يحرمها لأنها من وجهة نظر الأكثرية منهم لا يوجد نص يمنع أكلها ، كما رفضوا موقف السلاطين والأمراء والفقهاء والقضاة الذين رأوا أنها تذهب العقل ، وبالتالي دعم كل من يقوم بزراعتها [132] ، وتوفيرها لهم عن طريق التهريب مثل سلطانهم إبن شعبان [133] ، والتجار الذين كانوا يهربونها في أحمال التبن [134] .

كما ساهمت الحرافيش في الوقوف إلى جانب الصوفية بالاحتفال بالموالد، التي كانت الصوفية تحييها في كل عام من أجل الأولياء الذين يعتقدونهم، فيقومون بتأدية نفس الطقوس من اصطفاف ولف ودوران والإكثار من أكل الحشيش [135] ، واعتقاد كلا الطرفين بأن للأولياء قدرة على التنبؤ بالمستقبل والإشفاء من الأمراض المزمنة والعاهات ، وترديد العبارات التي تؤدي إلى الزندقة وفقا لوجهة نظر الفقهاء [136] ، وأخيرا فإن ما يؤكد على قوة تلك العلاقة أن شيخ مشايخ الحرف في بداية القرن العاشر كان رفاعيا [137]، والرفاعية هي أحد الفرق الصوفية التي ظهرت في نهاية القرن السادس الهجري .

اعتادت السلطة على استغلال الحرافيش وذلك بتسخيرهم للقيام بالأعمال العامة، وحفر الخلجان وأعمال الحفر العامة ، وإنشاء العمائر السلطانية [138] ، ففي سنة 726هـ /1326م أمر الأمير تنكز العامة والحرافيش بجمع الكلاب في مدينة دمشق، ورميها في الخندق، بعد أن كثرت في شوارع المدينة وأزقتها، وأصبحت مصدر إزعاج لا يمكن للناس تحمله [139] ، وعندما أراد السلطان الناصر محمد بن قلاوون بين 738-739 هـ / 1336 - 1337م إقامة مجموعة من المنشآت العامة والخاصة استخدم الحرافيش لإنجاز ذلك ، فأصدر مرسوما بإلقاء القبض على المقيدين الذين يخرجون للتسول وعلى الخلق من الطرقات ، وعلى الفلاحين والفقراء في منطقة باب القصرين وغيرها من أحياء مدينة القاهرة وهم نيام ، أوعند خروجهم من الصلاة وقت السحر ، وبالفعل ألقي القبض على عدد كبير من الحرافيش ذلك لعمل الجسر المستجد [140] ،حتى عدمت الحرافيش من الطرقات لكثرة ما أخذ منهم لنقل التراب [141]، وعندما أراد بناء جسر في وسط النيل أمر والي

القاهرة بجمع الناس وتسخير كل من يجدوه، فاخذ الوالي الحرافيش من الأماكن المعروفة بهم، وقبض على كل من وجدوه منهم في الطرقات والمساجد والجوامع [142] ، وعندما اراد بناء الجسر بحكر إبن الأثير سنة 739هـ /1337م أمر والي مصر ووالي القاهرة أن لا يدعا أحدا إلا ويسخرانه، فركب الواليان وقبضا على عدد كبير من الحرافيش ، وتصادف ذلك مع اشتداد الحر، فكان الواحد منهم يقطع الرمل العالي الذي ربما يردم عليه فيموت ، حتى قيل إن عددا كبيرا منهم مات تحت الردم [143] .

وعندما أراد السلطان الناصرإنشاء حوش الأغنام أوكل ذلك لعدد من الأمراء ، الذين سرعان ما قاموا بجمع الحرافيش وتسخيرهم للعمل في ذلك [144] ،وفي سنة 748هـ /1347م نادى الوزير منجك بأن من يرغب من الحرافيش بالعمل في إنشاء الجسر بين الجيزة والروضة فليأت، ويأخذ أجرته درهم وربع درهماً وثلاثة أرغفة عن كل يوم ، وهي من الحالات النادرة التي يقوم فيها الأمراء بدفع الأجرة لهم [145] .

كما تم استخدامهم في سنة 751 هـ / 1350م في إطفاء الحرائق التي وقعت بالقاهرة ، وعندما حاولوا الهرب أصدر الوالي أمرا إلى خفراء الحارات (الحراس) بتتبعهم وإلقاء القبض عليهم وإحضارهم [146] ، وفي عهد السلطان برسباي كثر تسخير الناس والحرافيش عند إنشائه لحوش العرب [147] .

الحياة الاجتماعية والاقتصادية للحرافيش

تتحدد منظومة العلاقات الاجتماعية في أي مجتمع وفقا للثقافة السائدة والنظام الاقتصادي ، ومجموعة المؤثرات والأحداث الخارجية ، والنظام التربوي السائد ، والأحداث السياسية ، وبالرغم من أن الحرافيش كانوا ينتظمون في نقابة يحمل رأسها لقب شيخ أو سلطان ، إلا أن عملية ضبط سلوكياتهم لم تكن بالأمر السهل ، نظرا لحالة الفقر والبؤس والجهل التي كانت تغلب عليهم ، مما جعل مصطلحات الأوباش والسفلة والرعاع

والغوغاء والصعاليك والدعّار والأسقاط مرادفة لصفات الحرافيش ، والتي كانت إفرازا للعلاقات البينية وطبيعة علاقتهم مع فئات المجتمع الأخرى ، وكذلك تباين الفئات المنضوية داخل هذه الشريحة ، فمنهم من كان من الشحادين وهم الأغلب ،أو من الصوفية الذين اتخذوا من الاعتماد على تبرعات الناس وسيلة للكسب ، أو من العتالين أو الحرفيين والحمالين وعمال النظافة (الزبالين) ومنظفي الحمامات والأوساخ من البيوت ، والمتشردين الذين لا مأوى لهم ولا بيت يظلهم ، ويقضون معظم أوقاتهم في الشوارع متجولين ، وبين الأزقة والخرائب ، بحثا عن كسرة خبز تسد رمقهم، أو محسن يعطف عليهم ، ويتصارعون ويتنازعون فيما بينهم من أجل القليل من المال ، بحيث تجد الحرفوش اليوم في زقاق أو حارة أو قرية وفي اليوم الذي يليه في زقاق أو حارة أو قرية أخرى .

بالرغم من تناثر الروايات في المصادر إلا انها مع ذلك تعطينا صورة عن الحياة الاجتماعية لهذه الفئة من المجتمع ، فمن حيث اللباس فقد كانوا يلبسون ما يعرف بالمرقعة أو الدلق [148] ، وهو عبارة عن لباس يتكون من مجموعة من القطع المتباينة من الملابس أو السجاد التي يحصلون عليها من هنا وهناك ، ويقومون بخياطتها بعضها مع بعض بشكل عشوائي ويلبسونها دونما شيء تحتها ، بحيث لا تستر عوراتهم في كثير من الأحيان ، ويبدو أن ذلك كان أمرا مقصودا ، حتى يظهروا للناس فقرهم وحاجتهم ويدفعوهم للتصدق عليهم ، وقد يلبس البعض منهم شرطوطا ، وهو عبارة عن عمامة طويلة ورفيعة ورقيقة ، ومنهم من يلبس قميصا أزرق أو بلون آخر كيفما اتفق ، وقد يحملون بأيديهم عكازاً من حديد أو خشب [149] ، ومنهم من يتشبه بالصوفية فيلبسون خرقهم أو عصائبهم، مع الإشارة إلى أنهم لا يعتنون بغسل ملابسهم لفترة طويلة من الزمن .

وتؤكد الروايات أن الحرافيش كانوا يقيمون في أماكن غير صحية فهم لا يملكون البيوت وهو ما يتضح من الأبيات الشعرية التالية :-

نحن الحرافيش لا نسكن علالي الدور

ولا نرائي ولا نشهد شهادة زور

نقنع بخرقة ولقمة في سيد مهجور

من كان ذا الحال حاله فذنبه مغفور [150]

ويقضون معظم أوقاتهم بالطرقات والشوارع [151] ، أو الخرائب والأماكن المهجورة المدمرة بفعل العوامل الطبيعية، أو بفعل الصراعات والحروب الأهلية أو الحرائق ، وكذلك تحت الأقبية فمنهم من كان يقيم في خرائب الحسينية ، وكوم الزل بظاهر القاهرة [152] وفي الترب (القبور) [153] ، والتي عادة ما يشاركهم فيها الفئران والقوارض، والحشرات والهوام بشتى أنواعها [154] .

شكّلت المجاعات والأوبئة والطواعين والكوارث الطبيعية وأحوال المناخ ، تحديا كبيرا للحرافيش ، بتهديد حياتهم والقدرة على البقاء ، خاصة أن هذه الأحداث كانت تتكرر بشكل ملفت للنظر ، فلا تكاد تمر سنة إلا وتشهد واحدة منها أثناء العصر المملوكي ، ومما كان يزيد الطين بلة أن هذه الفئة لم يكن طعامها سوى كسرة من خبز أو ما شابه ذلك ، حيث لم تكن اللحوم من ضمن وجباتهم في الأيام العادية أصلا ، وبالتالي فإن سوء التغذية يعد حالة طبيعية فيما بينهم .

وحتى يتمكن الحرافيش من البقاء في ظل هذه الظروف فإنهم يغيرون الكثير من سلوكياتهم ، فكانوا يقومون بسرقة الخبز واختطافه من الأفران ، ففي سنة 748 هـ / 1347م اختطفوا الخبز من الأسواق من شدة الجوع، دون الخوف من الدولة التي كانت تواجه ذلك بالمزيد من القمع والعقاب ، حيث قامت بإلقاء القبض على عدد منهم وقطع أيديهم وأرجلهم وإشهارهم [155] ، وتكرر ذلك في المجاعة في سنتي 776 هـ / 1374م ، 872 هـ / 1467م حتى إن الحرفوش من شدة الجوع، كان يدور في الشوارع صائحا بأعلى صوته لله رغيف، أو لبابة قدر شحمة أذني أشمها ثم خذوها ، ويبقى دائرا على هذه

الحالة ولا يجد من يعطيه شيئا حتى يموت وهو على ذلك الحال [156] ، وفي مجاعة عام 853 هـ /1449م تجرأوا بشكل لافت على اختطاف الخبز من الأسواق [157] .

يلجأ الحرافيش كذلك إلى أكل كل ما تصل إليه أيديهم ، لأن غريزة البقاء واستمرارية الحياة تصبح القيمة الأعلى ، فمنهم من يلجأ إلى أكل الطين[158] ، وفي سنة 777هـ /1375 م باع الكثير منهم أولادهم في كل من دمشق وحلب على أمل أن يجدوا لقمة عيش عند المشتري تقيتهم وتساعدهم ، وأكلوا الميتات ولحوم بعضهم البعض حتى إن منهم من أكل ولده [159] ، وقبض في سنة 807هـ / 1404م على أحد المجرمين فتم توسيطه وتعليقه خارج المدينة ، وفي اليوم التالي ألقي القبض على رجل أخذ قلبه وكبده ليأكلهما ، فتذرع أن الدافع هو شدة الجوع [160] ، وفي عام 882هـ/ 1477م أخذوا بتجميد الدم، والتقاط حب الشعير من روث الحيوانات والدواب وأكله ، حتى إن قسما منهم أكل الروث بقشه وحبه[161] .

ويصف بعض المؤرخين مدى تأثير الأوبئة والمجاعات عليهم بعبارات عامة ، ففي عام 776هـ /1347م خلت معظم الدور وأماكن إقامتهم من ساكنيها لكثرة من مات منهم [162] وفي عام 798هـ/ 1396م حضروا إلى الاسطبلات الشريفة من شدة الجوع يطلبون القليل من الطعام، فازدحموا حتى مات منهم 47 نفرا [163] ، وفي سنة 807هـ /1404م فني معظمهم ولم يتبق إلا القليل منهم [164] ؛ وفي سنة 855 هـ/1451م مات منهم خلائق كثيرة بسبب القحط[165]، وصاروا في سنة 892 هـ/1487م يتساقطون ويموتون على الطرق[166] وأحصي في بعض الأحيان من مات منهم من شدة الحر والجوع ما وصل إلى مئة وثمانية عشر نفسا في بضعة أيام [167] .

ومما كان يزيد من فتك المجاعات تزامنها في بعض السنوات مع الأحوال المناخية السيئة وغير المعتادة ، فقد ساهمت شدة البرد مع العري والجوع في عام 776هـ/1347م في موت بين 500-600 نفر في اليوم الواحد، بحيث كانت الجثث المتناثرة والمطروحة

على جوانب الطرقات من المناظر الملفتة للنظر[168] ، كما كان لهبوب الريح المريسية الشديدة البرد والرطوبة سنة 806هـ/1403م وتزامنها مع المجاعة، بازدياد السعال والحميات في قتل أعداد كبيرة من الحرافيش حتى وصلت في بعض الأيام إلى ألف نفس في اليوم الواحد [169]، وعندما اشتد البرد سنة 894هـ / 1489م وسقط الثلج، وانعقد على الجدران بناحية الجيزة مات بسببه الكثير من الحرافيش [170] .

أما رد الدولة على الحرافيش في هذه الأزمات فكان إما بإلقاء القبض على البعض ممن يقوم بالنهب ، وقطع أيديهم وأرجلهم وإشهارهم وتسميرهم ، أو الاكتفاء في تكفين بعض من يموت منهم على الطرقات ودفنهم ، وذلك بالتعاون مع بعض الأمراء أو وقف الطرحاء والمارستان [171] .

ومن الناحية الدينية فقد راج بين الحرافيش الاعتقاد بأصحاب الكرامات والخوارق والمجذومين والمعتقدين ، خاصة بين الفئات الصوفية التي كانت تدّعي أن بإمكان أحدهم أن يصعد إلى السماء وتكليم الله ، كما أخذوا بترديد عباراتهم التي تؤدي إلى الزندقة ، وكذلك التردد إلى من ادعى أن بإمكانه شفاء الناس من الأمراض المزمنة، والقدرة على الإخبار بالأحداث قبل وقوعها، والإتيان بالمعجزات [172] .

وبما أن العناية بأجسادهم ونظافتها أو الاهتمام بنظافة ملابسهم أمر غير وارد ، فإن الفروض الدينية لم تكن محط اهتمامهم ، فقد كانوا يدخلون المساجد بهيئة مزرية، وبملابس علق الوسخ عليها حتى أصبح جزءاً منها ،ومنفوشي الشعر ولا اهتمام بستر عوراتهم ، بهدف استعطاف المصلين والناس للحصول على بعض الأموال ، ولا يكترثون بتأدية الصلاة [173] ، ولا يتورعون عن الإفطار في رمضان جهرا عند اشتداد الحر [174]، ومنهم من جعل أكل الحشيش وشرب الخمر مفخرة ، دون اكتراث بتحريمها من الفقهاء والإسلام[175] .

لا يأبه الحرافيش كذلك بمظهرهم العام ، ولا بالسمعة السيئة في المجتمع عنهم ، وإظهار الجنون ، أو الحاق الإهانات بأية شخصية إن تمكنوا من ذلك ، فمن مصطلحاتهم عند شتم إنسان " يا سلاخ ، ياعلق ، يا منكوح " [176] ، وفي محنة الوزير ابن السلعوس في عام 693هـ /1294م وإلقاء القبض عليه ، كان النقيب المسؤول عن عقابه يضربه ثم يخرجه للناس على حمار، فيقف له الحرافيش في الطريق وبأيديهم المداسات المقطعة ، ويقولون له يا صاحب علم لنا على ذلك [177] ، كما ان امتلاكهم للأموال لم يكن يعني تغييرا في نمط حياتهم ، فقد وجد في إرث بعضهم وملكيته الكثير من الأموال للعيش حياة كريمة دون السؤال ، إلا أن الطبع يغلب التطبع ، حيث كانوا يرفضون صرف ذلك على أنفسهم .

تكشف لنا بعض المعلومات أن ارتكاب الأعمال الإجرامية لم تكن جزءاً من طبيعة حياتهم ، فلا يوجد سوى روايتين تشير إلى ارتكابهم بعض الجرائم ففي سنة 695 هـ / 1296م شاع مقتل حراس الدروب في بعض الأيام بمدينة دمشق ، فأخذ الوالي بالبحث عن ذلك ، ليكتشف أن هذا الفعل من أحد الحرافيش، الذي كان يأتي للحارس فيضربه بزلطة (حجر صلب) على رأسه فيقتله [178] ، أما الجريمة الثانية فهي أن أحد الحرافيش في عام 836هـ /1432م اقترب من أجد التجار يسأله شيئا فقال له التاجر يفتح الله ، فما كان من الحرفوش إلا أن اختطف دفتر حساباته ، فلحقه التاجر وأمسك به وضربه ، فما كان من الحرفوش إلا أن استل سكينا من عند أحد الجزارين وضرب التاجر به وقتله ، وأظهر بعد ذلك الجنون ، فحمل إلى البيمارستان ، وراح دم التاجر هدرا [179] .

أما عن علاقاتهم بالطوائف الأخرى فقد كان يحكمها الجهل والرغبة في النهب والسلب ، حيث اعتادوا الهجوم على الكنائس والأفراد عندما يجدون الفرصة لذلك ، وهو أمر قديم حيث يذكر أنه في عام 350هـ /961م قبيل عيد الشعانين وثب الحرافيش على عدد من الكنائس في مصر وهدموا ونهبوا ودمروا عددا منها [180] ، وقد تكررت هذه الحوادث في زمن المماليك بشكل ملفت للنظر وفي أكثر من مناسبة ، ففي عام 692هـ / 1293م وبسبب تعاظم قوة النصارى ومكانتهم لدى السلاطين المماليك ، عندما أكثروا من

استخدامهم في الدواوين، حصل نزاع بين أحد أبناء النصارى وتاجر مسلم ، فقام النصراني بإهانة هذا التاجر لقرض له بمرأى من الناس ، فغضبت الحرافيش والعامة وقاموا ضده ، وأخذوا بمطالبة السلطان وخاصكيته والأمراء بالتوقف عن حمايتهم ، فما كان من السلطان إلا أن استجاب لهم وأمر بإصدار مجموعة من القوانين التي تمنع توظيف أهل الذمة في الدواوين إلا إذا أسلموا ، أو قتل كل من لم يسلم من الكتاب ، وأطلق يد العامة في التعامل معهم ، فأباح لهم إلقاء القبض عليهم وإحضارهم إليه ، فصارت الحرافيش بالتعاون مع العامة تهاجم النصارى في الطرقات والبيوت، وتخرج نساءهم كسبايا مع قتل جماعة منهم ، وقد حاول السلطان تهدئتهم حيث لم يكن لديه اعتقاد بأن الأمور قد تصل إلى هذا الحد ، فأمر الوالي بالنداء أن كل من يعتدي على أحد من النصارى يعاقب، فألقي القبض على عدد من الحرافيش وأشهروا من اجل كبحهم [181].

وفي سنة 700هـ/1300م الزم السلطان النصارى بمصر والشام بلبس العمائم الزرقاء واليهود بلبس العمائم الصفراء ، والحمراء ليهود السامرة ، وإغلاق بعض الكنائس ، لكن أحد أبنائهم تمكن من فتح واحدة منها ، فتصدت الحرافيش للنائب والأمراء ، خاصة أن قسما من النصارى واليهود رفضوا الالتزام باللباس ، مما اضطر الوالي أمام ضغطهم للإعلان أن كل من لا يلبس ويلتزم بما تم إصداره يجوز للعامة نهبه ومهاجمته ، وبالفعل استغلت الحرافيش هذا النداء وأخذوا بتتبع النصارى واليهود ، فمن لم يلتزم ضربوه حتى يكاد أن يموت ، مما دفع الكثير من النصارى واليهود إلى عدم التجرؤ على الخروج من بيوتهم [182] ، وفي عام 721هـ/1321م تكررت الأحداث بشكل أسوأ حتى عدها النصارى من أصعب السنوات في حياتهم، وكان سببها أن السلطان حفر بركة بالقرب من ميدان القاهرة ، وكان في جوار الحفر كنيسة فأمر الوالي بهدمها ، فما كان من العامة والحرافيش إلا أن اعتبروا ذلك بمثابة إذن لهم بمهاجمة الكنائس في مصر عامة ، فتسلطوا على الكنائس في مصر والقاهرة، وجميع أنحاء مصر فهدموا عددا كبيرا منها بعد نهبها [183]، وعقب ذلك اندلعت الحرائق في المساجد وبعض أماكن القاهرة، فمنهم من اتهم الحرافيش بافتعال ذلك بهدف النهب والسلب ، بينما أشار آخرون الى أن ذلك من فعل

النصارى ردا على هدم كنائسهم [184] ، وفي سنة 742 هـ /1341م استغل الحرافيش ثورة قوصون وانعدام الأمن في الهجوم على الكنائس ونهبها [185] .

وكان الحرافيش مع ذلك يساهمون في أعياد النصارى ليس حبا في ديانتهم ، وإنما من أجل الكسب ، فيطلبون الأموال والصدقات منهم ، ففي عيد الميلاد من كل عام كانت الحرافيش تدور في الطرقات يسألون النصارى ، فمنهم من يتصدق عليهم بفانوس صغير لا يزيد ثمنه عن درهم [186] .

ومن الحوادث التي لا بد من ذكرها عن الحرافيش بدمشق أن سنة 738 هـ / 1381م، قد شهدت اجتماع سبعمئة من حرافيشها والتوجه إلى الحاجب والشكوى من أن أحد خيالاتي الظل قد ضمن نوباته نوبة سخرية منهم ، وأخذوا بالصياح على الحاجب مما اضطره إلى إحضار الخيالاتي وبعثه للوالي، الذي سرعان ما أنقذ الموقف بأن سفر الخيالاتي إلى خارج البلد خوفا من فتنتهم [187] .

الأوضاع الاقتصادية للحرافيش

كان تحصيل كسرة الخبز في العصر المملوكي امرا عسيرا على الفقراء، ويزداد صعوبة مع مرور الزمن [188] ، وبذلك فقد تنوعت مصادر رزق الحرافيش بين مهنة أو حرفة، أو صدقات سلطان أو أمير، أو أحد الكبراء أو مناسبة عامة ، مع استغلال الاضطرابات العامة السياسية والاجتماعية، والاقتصادية والطبيعية، والحروب والفتن من أجل الحصول على قوتهم اليومي .

اعتمد قسم كبير من الحرافيش في الحصول على رزقهم من خلال امتهان الشحدة ، لدرجة أن سلطانهم عرف في بعض الفترات بسلطان الجعيدية (الشحاذين) ، والتي عادة ما يمارسونها باستخدام عبارات وألفاظ تدمج بين إثارة العواطف الدينية كالشحدة باسم الرسول والصحابة، والصديقين والأولياء، والقيم الدينية القائمة على أساس فكرة الخير والثواب

والأجر ، وإظهار المسكنة والفقر من خلال الملابس والأجساد التي يكون الوسخ وعدم النظافة العنصر الأبرز فيها ، وبالتالي وضوح الأمراض الجلدية التي تترافق مع ذلك ، مما كان له أكبر الأثر في التأثير على النفس وإعطائهم القليل من المال ، وقد اشترك معهم في ذلك الصوفية الذين كانوا يطوفون الأسواق والشوارع دون امتهانهم لمهنة الشحادة والاكتفاء بادعاء الفقر والزهد والتقشف ، وبالتالي الحصول على الأموال باعتبارهم من أهل الدين .

ويبدو أن قسما من الحرافيش قد اعتاد التردد على المزابل من أجل الحصول على بعض الطعام ، أو على أمل الاستفادة مما يرميه الناس ، فعند مقتل شجرة الدر 655 هـ/1257م والقاء جثتها على أحد المزابل خارج أسوار القاهرة ، مر بها أحد الحرافيش وهو يبحث بين الزبالة عن شيء يقيته ، فما كان منه إلا أن انتزع تكة سروالها (الخيط الرفيع من القماش في أعلى السروال) من أجل بيعه (189) ، خاصة أنه كان يحتوي على أكرة (كرة) من اللؤلؤ ونافجة مسك (وعاء صغير به رائحة المسك) (190) .

كما شكّلت الصدقات الطوعية، ومبدأ الرعاية الاجتماعية دافعا رئيسا في توفير بعض المصادر الاقتصادية للحرافيش من قبل الفئات التي كانت تمتلك معظم ثروات الأمة ، وكان على رأس تلك الفئات السلاطين ، وقد تنوعت أسباب صدقاتهم ودوافع رعايتهم ، حيث اعتاد السلاطين في فترة الأوبئة والمجاعات على إحصاء أعداد الحرافيش والفقراء، وتوزيعهم على أنفسهم وعلى الأمراء، وكبار الشخصيات كالتجّار والقضاة وعلى مؤسسات الدولة كالدواوين ، أو توزيع الطعام عليهم بشكل عام ، فلما تزايد الموت في الفقراء والحرافيش عام 694هـ /1257م بسبب الغلاء وانتشار الطاعون، أمر السلطان كتبغا بتفرقة الفقراء في سائر البلاد على أرباب الأموال، كل واحد على قدر احتماله وثروته، بعد أن اختص بجماعة منهم (191) ، كما أمر برقوق في مجاعة عام 776هـ / 1374م بأن يخبز في كل يوم أربعون إردبا (2788كغم) من القمح، وتوزيعه على الفقراء والحبوس والمساكين (192) ، بينما في غلاء عام 798هـ /1396 أمر بتوزيع الطعام والذهب والفضة على الحرافيش والفقراء، حيث صار يوزع في كل يوم في الفترة بين ربيع الأول – جمادى الثانية عشرين إردبا من الخبز ، وثلاثة قدور مطبوخة من اللحم والمرق ، بإعطاء

كل واحد منهم في كل يوم زبدية ورغيف خبز، بالرغم من أن عددهم وصل الى خمسة آلاف نفس ، ومن أدرك منهم الطعام في ذلك اليوم ولم يدرك الرغيف أعطي بدلاً منه نصف درهم والعكس كذلك ، ومن لم يدرك الاثنين أعطي في مقابل ذلك درهما ونصف، وكان في كل يوم يزيد من أعطياتهم حتى بلغت في أحد الأيام خمسين درهما لكل واحد، مما دفع عددا كبيرا منهم في اليوم التالي للتجمع والازدحام للحصول على ذلك المبلغ، وموت سبعين نفسا من شدة التدافع ، وقيام السلطان بتكفينهم ودفنهم [193] .

وفي غلوة 819هـ /1416م قام السلطان المؤيد شيخ بتفرقة الخبز على أهل المسكنة حتى بلغ اثني عشر ألف رغيف في كل يوم [194] ، وفي طاعون 822هـ/1419م نزل السلطان المؤيد شيخ للصلاة بعيد الأضحى فذبح عددا من الأضاحي، وصار يقطعها ويوزعها على الحرافيش والفقراء مع ثلاثين ألف رغيف [195]، وفي غلاء سنة 856هـ /1452م أمر السلطان محتسب القاهرة بتفريق الطعام على الفقراء [196] .

كانت زيارة القبور إحدى المناسبات التي تدفع السلاطين للصدقات ، حيث اعتاد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون زيارة قبر والده في كل عام، وتوزيع الأموال على الفقراء والحرافيش أثناء ذلك [197] ، وعندما قام السلطان برقوق بزيارة قبر الإمام الشافعي ومشهد السيدة نفيسة، فرّق جملة كبيرة من الأموال أثناء مروره بالطرق المؤدية إليهما[198] .

ومع إدراك السلاطين لحالة البؤس والفقر التي كان يعيشها عامة الشعب ، وضرورة اظهار أنفسهم كفاعلين للخير من أجل زيادة شعبيتهم ورضا المجتمع عنهم وتسكين العامة واتقاء شرها ، فقد أخذوا بالعمل على إظهار تقديم الصدقات الطوعية كأنها جزء من طبيعتهم ، وذلك بالأمر بتوزيع الصدقات على الفقراء والحرافيش من دون مناسبة ، ففي سنة 801هـ /1395م أمر برقوق بتوزيع الأموال عليهم فاجتمع عدد كبير منهم تحت القلعة، وازدحموا لأخذ الذهب حتى قيل إنه قد مات منهم سبعة وخمسون نفرا من شدة الزحام [199] ، وقد فعل المؤيد شيخ ذلك في عام 819هـ /1416م حيث أعطى كل واحد

منهم ما لا يقل عن خمسة وأربعين فلسا [200] ، كما أمر السلطان برسباي بتفريق الخبز على الفقراء والحرافيش كإعانة لهم أكثر من مرة [201] .

استغل السلاطين كذلك المواسم الدينية للإكثار من الصدقات الطوعية على الفقراء والحرافيش، حتى حولوا شهر رمضان من كل عام لشهر للصدقات ، فقد قام الظاهر بيبرس سنة 662هـ /1264م بإنشاء عدد من المطابخ في مصر والقاهرة لتقديم الطعام المجاني للفقراء والحرافيش [202] ، واعتاد برقوق على الاكثار من توزيع المأكولات واللحوم عليهم في هذا الشهر من كل عام [203] ، ويؤكد المقريزي أن هذه العادة قد استمرت حتى عام 837هـ /1433م، وأن سبب انقطاعها بعد ذلك هو سوء الأوضاع الاقتصادية في عهد السلطان برسباي [204] ، ومع ذلك فإننا نشهد أن السلطان في يوم عاشوراء من عام 912هـ /1506م قد أمر بجمع الفقراء والحرافيش عند سلم المدرج، ثم نزل إليهم بنفسه ، وأعطى كل كبير أو صغير من الرجال والنساء دينارا ذهبيا، حتى بلغ ما فرقه في ذلك اليوم ثلاثمئة دينار ، إلا أنه توقف بعد ذلك بسبب شدة الزحام، وموت ثلاثة منهم بسبب ذلك [205] .

ومن المناسبات الأخرى التي تدفع السلاطين للتصدق على الحرافيش مرض السلطان وشفاؤه ، فعندما أصيب الأشرف خليل بن قلاوون بالحمى عام 691هـ/ 1292م رسم في فترة مرضه التي امتدت خمسة عشر يوما بأن يصرف في كل يوم عشرة آلاف درهم للفقراء، والحرافيش والأيتام، والأرامل والزوايا ، وعند شفائه أولم وليمة عامة في دمشق بحيث أن كل فقير حصّل شيئا منها [206] ، وتصدق برقوق عندما أصابته الأمراض سنة 794هـ/1392م بالأموال على الفقراء [207] ، وفي مرضه سنة 800هـ /1397م فرق مئتين وخمسين ألف دينار من الذهب والفضة والفلوس والغلال والقماش على الفقراء [208] ، ثم تكرر ذلك في السنة التالية حيث فّرق على الفقراء أربعة عشر ألفا وأربعمئة وتسعة وتسعين دينارا [209]، أما المؤيد شيخ فقد تصدق بسبب مرضه عام 823هـ/1420م بجملة كبيرة من الأموال على الفقراء [210] ، والسلطان برسباي في مرضه عام 837هـ / 1433م وعام 841هـ /1438 عمل على تفريق الأموال على الفقراء [211].

والشيء نفسه كان يحدث في حال مرض أحد الأمراء والخاصكية أو المقربين من السلطان ، فقد تصدق الأشرف خليل بمبلغ كبير من المال عند مـرض الأمير بيدرا وتعافيه [212] ، أو عند وفاة أحد الأولياء المعتقدين لديه[213] ، أو بمناسبة موت والد السلطان وعند زيارة قبره، أو نزول السلطان للاحتفال والتنزه[215] ، أو زيارة قبر أحد الأئمة كما حصل في زيارة برقوق لقبر الإمام الشـافعي وقبر السـيدة نفيسة في عـام 796هـ / 1394م [216] ، أو النزول للعب الأكـرة في الميدان ، حيث تعقد الـولائم ، مما يدفع الحـرافيش إلى نـهبها أو أخـذ مـا يمكنهم مما تبـقى بعد انتـهاء الأمـراء والأعـيان مـن تنـاول الطعام ، وأخيرا قد يـوزع السـلاطين تركة بعض الأمراء، أو بعض مما يصادر منهم على الفقراء[218] .

تشبه بعض الأمراء بالسلاطين من حيث رعاية الفقراء والنفقة عليهم ، فقد أوقف الأمير طيبرس الوزيري (ت 689هـ /1290م) خانا للصدقات على الفقراء في كل شهر [219]، واعتاد الأمير الجاي اليوسفي ت 775هـ /1373م على تفريق اثنين وخمسين ألف درهم في كل يوم على الفقراء المكدين [220]، وفي سنة 787هـ/1385م أرسل الأمير جركس الخليلي ت 791هـ /1389م قمحا كثيرا إلى مـكة والمدينـة ليعمل منـه في كل يـوم خمسـمئة رغـيف في كل واحدة ، تفرق على كل من حضر من السؤال دون تمييز ، حتى كف السؤال عن الشحدة ولم يبق أحد من الفقراء جائعا [221] ، كما اعتاد في كل يوم على توزيع الطعام والخبز على فقراء القاهرة ، حيث خصص لهذا الغرض بغلين محملين ، يدور كل واحد من مماليكه فيهما بشوارع القاهرة وأزقتها [222] ، وساهم سعد الدولة بن غراب في مجاعة وطاعون عام 808هـ/1405م بإطعام الفقراء وتكفين من لا مال له [223] ، وأما المؤيد شيخ ففي أثناء ولايته على دمشق خرج في21 رمضان من عام 811هـ /1408م إلى الجامع الأموي للتصدق على الفقراء بالأقراص المحشوة باللحم على كل من ورد للجامع [224] ، وفي عام 904هـ / 1498 م فرق كافل دمشق ألف دينار نقدا على فقراء أهلها، منها خمسـمئة دينار نقدا [225] ، وكذلك فعل النائب حيث فرق ألفي دينار على الفقراء والمساكين بسبب مرضه وشفائه [226] .

انخرط كبراء المجتمع والأعيان كذلك بالعناية بالفقراء ، فقد عرف عن يوسف بن موسى بن يوسف بن محمد الحنفي الفقيه بأنه كان يفرق طوال حياته في كل يوم خمسة وعشرين درهما فلوسا على الفقراء ، وأنه لم يقطع هذه العادة حتى وفاته [227] ، كما كان بعض الأعيان يوصون بجزء من تركتهم للفقراء ، فعندما توفي الصدر العالم عزيز الدين أبو محمد الحسن بن شرف الدين علي بن عزيز القرشي الأصبهاني في دمشق سنة 727هـ / 1327م أوصى بعمل حلاوة صابونية مع برزق (نوع من الكعك) ليوزع على كل من حضر من الأعيان والفقراء [228] ، كما أوصى كل من القاضي الشافعي محمد بن كمال الدين ت 727 هـ / 1327م بثلث ماله صدقة [229] ، وقاضي القضاة أبو الحسن البصراوي الحنفي ت 727 هـ /1327م بثلث ماله وجميع أملاكه بأن ترصد للنفقة على الفقراء والمساكين وعين ناظرا عليها لتنفيذ ذلك [230] ، وأما عبد البر التاجر ت 728 هـ /1328م فقد أوصى بثلث ماله صدقة للفقراء والمساكين وأنواع البر [231] ، وأوصى ابن علوي ت 748 هـ /1347م أحد أكابر دمشق بثلاثين ألف درهم لتفرّق على الفقراء صدقة ، وبمئتين وخمسين ألف درهم لشراء أملاك ورصدها للصرف في أعمال البر ، وعندما سمعت الحرافيش بذلك تجمعت للحصول على المال وعلى الخبز الذي كان يشتريه المتولي لتنفيذ الوصية ، وأخذوا بالتزاحم وخطف الخبز من الخبازين الذين لا علاقة لهم بذلك ، مما دفع الأمير أرغون شاه لإخراج اعوانه والقبض على عدد منهم ، وحبسهم وقطع أيدي وأرجل البعض ، وإخراج طائفة الحرافيش من دمشق إلى حمص وحماه وحلب [232].

استفاد الحرافيش كذلك من الاحتفالات العامة كمصدر للارتزاق، فعندما عاد الظاهر بيبرس من حملة أرسوف منتصرا على الصليبيين سنة 663هـ /1263م أخذ بالتصدق على الفقراء أثناء مرور موكبه في شوارع القاهرة [233] ، وعندما خرج السلطان الأشرف خليل بن قلاوون إلى الوجه القبلي من أجل الصيد في عام 692 هـ /1293م عمل له الأمير بيدرا ولائم وإقامات ضخمة ، وبعد رحيله قامت العامة والحرافيش بنهب ما تبقى من الأطعمة والحلاوات [234] ، وقبيل عودة السلطان من وقعة شقحب أخذ الأمراء بالتنافس في صناعة القلاع لاستقبال السلطان واستعملوا في إعدادها الحرافيش بالأجرة ، ولما وصل

إلى القاهرة هرعوا لاستقباله أملا في الحصول على الصدقات أثناء مروره (235)، وبعد عودة برقوق للسلطنة سنة 792هـ /1380م ووصوله للقاهرة بسطت له الشقق الحرير للمرور عليها ، فكلما انتهى من المرور على واحدة منها قامت الحرافيش بتقطيعها وتقاسمها ، ثم نثر عليهم الذهب والفضة فالتقطوها، فمنهم من حصل على دينار أو درهم أو أكثر أو أقل (236) ، وبعد انتهاء السلطان المؤيد شيخ من بناء المدرسة المؤيدية 822هـ /1419م، وقرر فيها عددا من المشيخة مد لهم سماطا كبيرا قامت العامة بنهبه (237) ، وعندما تّوجه السلطان برسباي عام 841 هـ /1437م للتنزه في منطقة خليج الزعفران تصدق أثناء مروره بالشوارع بالكثير من الأموال بحيث تكاثرت الحرافيش على متولي الصدقة وجذبوه واسقطوه عن فرسه (238) ، وفي سنة 924 هـ /1518م هرع الفقراء والشحادون من الرجال والنساء إلى الجامع الأموي عندما سمعوا بقدوم السلطان سليم إلى دمشق، ونصبه منبرا في الجامع، من أجل الحصول على الصدقات فأعطى بين 4-6 دراهم لكل واحد منهم (239) .

انخرط الحرافيش كذلك في الجموع التي كانت تشارك في افتتاح المؤسسات العامة والخاصة ، فعندما عمر السلطان قلاوون تربة لابنه الملك الصالح، بجانب قبر السيدة نفيسة، نزل إليها وتصدق أثناء ذلك بالكثير من الأموال (240) ، وفي افتتاح الأمير جركس لمدرسته، والسلطان برقوق لمدرسته البرقوقية، عمل كل منهما وليمة كبيرة، أكل منها الأعيان والضعفاء والناس ، ولما انتهوا اختطف الحرافيش ما تبقى من الطعام (241) .

استغل الحرافيش الاضطرابات السياسية والحروب من أجل نهب الناس والأمراء والمؤسسات العامة والخاصة ، فقد أُثر عنهم المساهمة في الحروب والاستفادة من نتائجها سواء كانت نصرا أم هزيمة ، حيث شاركوا في الدفاع عن مدينة دمياط عند الهجوم الصليبي عامي 615هـ /1218م و648 هـ /1250م بحيث كانوا يهاجمونهم ، وكل من قتلوه سلبوا ما عليه من سلاح ولباس وعتاد ، كما شاركوا مع السلطان قلاوون في وقعة حمص عام 680 هـ /1281م، فلما انتصر الجيش المملوكي بدأوا بنهب ما تركه التتار

وراءهم [242] ، ونهبوا مدينة عكا بعد انتصار الأشرف خليل بن قلاوون وتحريرها من الصليبيين عام 690 هـ /1291م وبعد معركة كسروان عام 691 هـ / 1292م ودخول الأشرف خليل منتصراً إلى دمشق أخذ الحرافيش بنهب شقق الحرير التي سار عليها ، فأمر السلطان والي دمشق بالنداء بأن كل من حصل على شيء منها لا يجوز لأحد استعادته منهم [243] ، ومع وصول خبر مقتل السلطان الأشرف عام 693 هـ /1294م انتشروا في القاهرة وبدأوا بنهب كل ما وصلت إليه أيديهم [244] ، وعندما انهزم الجيش المملوكي أمام التتار في وقعة الخازندار عام 699هـ /1299م، قام المساجين بكسر السجون في دمشق، والهجوم على الممتلكات العامة ونهبها، وانضمت إليهم جماعات الحرافيش وشاركوهم في الاعتداء على الضواحي ، فهاجموا البساتين وكسروا أبوابها وقلعوها، كما هاجموا البيوت وانتزعوا شبابيكها، ونهبوا الأسواق وباعوا كل ما نهبوه بأرخص الأثمان [245] ، ولما تمكن التتار من الوصول إلى دمشق بعد ذلك تعاونوا معهم وساعدوهم في النهب والاعتداء على بيوت وبساتين أهل المدينة ونهبها ايضا [246] ، واشتركت الحرافيش في الحملة التي أرسلها السلطان برقوق لقتال الناصري بعد سيطرته على دمشق في عام 917هـ / 1389م، وكذلك في الحملة التي أرسلها قانصوة الغوري لقتال العثمانيين ، وذلك تحت قيادة سلطانهم أملا في الحصول على الغنائم [247] .

لم يترك الحرافيش أي شكل من الفتن الطائفية أو الفتن بين الأمراء إلا وحولوا ذلك إلى مهرجان للنهب والسلب ، فقد ساهموا في تأجيج الصراعات الطائفية في عام 692-700 هـ /1293-1300م، وفي عام 721 هـ /1321م حيث أخذوا بالهجوم على الكنائس ونهبها وكذلك الهجوم على بيوت النصارى والاعتداء على الأفراد منهم أينما وجدوهم في الشوارع، بذريعة عدم التزامهم بالقوانين التي اصدرها السلطان بإلزامهم إما بالإسلام أو بمركوب محدد أو بلباس محدد ، فصاروا يدخلون إلى بيوتهم ويسبون نساءهم ويأخذون كل ما على الشخص من ملابس في الشوارع ، ويضربونهم ضربا مبرحا ، وفي عام 721 هـ /1321م استغلوا حادثة تهدم أحدى الكنائس صدفة أثناء حفر السلطان بجانبها ، وأشاعوا عن السلطان أنه من أمر بهدمها، وهدم جميع الكنائس في مصر واندفعوا كالسيل نحوها

وصاروا يهجمون على الكنائس في مختلف انحاء مصر، ويقومون بتخريبها بعد نهب وسلب كل ما يجدون بداخلها.

شهد العصر المملوكي الكثير من الفتن والصراعات بين الأمراء على السلطة نظرا لعدم وجود قانون يضمن الانتقال السلمي للسلطة من سلطان إلى آخر ، وعادة ما ترافق مع هذه الصراعات انعدام الأمن، وبالتالي تحولها إلى ارضية خصبة للنهب والسلب ، حيث شهد الصراع بين الأمير أيدغمش والأمير قوصون سنة 742 هـ /134م قيام الحرافيش بالكثير من حالات النهب والسلب ، فقد وقفوا ضد الأمير قوصون بسبب إساءته لهم وإعدام عدد منهم ، فعندما طلب منهم الأمير أيدغمش الهجوم على ممتلكات الأمير قوصون، لم يتأخر أحد منهم عن ذلك، بالرغم من قتل عدد كبير منهم على يد مماليك قوصون الذين كانوا يدافعون عنها ، وابتدأوا بالهجوم على اسطبله، ونهب كل ما فيه من الركبخانات والحواصل، والخيول والسروج وآلات الخيل والمخازن ، ثم اتجهوا إلى قصره وكسروا أبوابه ، ولم يمض وقت طويل إلا وجميع ما فيها تحت أيديهم ، حيث قدر جملة ما نهبوه من الذهب والفضة ب 600 ألف دينار، و700 ألف درهم من الفضة، عدا عن الحلي والمصاغ والفصوص والفضيات ، كما هاجموا الخانقاة التي أنشأها ، وبالرغم من محاولة من فيها من منعهم إلا أنهم تمكنوا من فتحها، فنهبوها وسلبوا كل ما فيها من ثياب للرجال والنساء ، وقطعوا ما فيها من البسط، وكسروا رخامها وخربوا بركتها ، وقلعوا الشبابيك وخشب السقوف، وسرقوا ما فيها من مصاحف وكتب وقناديل وقدور النحاس التي بحمامها ودمروا جدرانها ، ثم استغلوا الصراع بعد هزيمة قوصون ومضوا إلى نهب بيوت مماليكه وحواشيه في القاهرة والحكورة، وبولاق والزريبة وبركة قرموط ، وباعوا كل ما حصلوا عليه بأرخص الأثمان ، ولم يكتفوا بذلك بل أخذوا بمهاجمة الأكابر والأعيان وأصحاب الوظائف ، فهاجموا محتسب القاهرة ومرافقه بسبب عدم رضاهم عن سلوكهم ، وصاروا كلما أرادوا الهجوم على شخص اتهموه بأنه قوصوني ، ونجم عن كثرة النهب انحطاط الأسعار ، فنزل سعر الغلة إلى ستة دراهم للإردب وسعر الذهب من عشرين درهما للدينار إلى عشرة ، وذلك لكثرة العرض وخوفا من أن يحاول أيدغمش استعادتها منهم [248] ، وعندما اختلف الأمير أيدغمش مع الأمير ملكتمر الحجازي ، أخذت الحرافيش بالتجمع

تحت القلعة من أجل نهب وسلب من يهزم منهم [249] وأثناء اقتتال مماليك الأمير صرغتمش ومماليك الأمراء الآخرين وهزيمة صرغتمش في عام 759 هـ/1358م قامت الحرافيش بنهب بيته ودكاكين الصليبة [250] ، كما استغلوا الخلاف بين الأمير بركة والأتابك برقوق عام 782 هـ / 1380م بالهجوم على الأمير بركة وإحراق بابه والدخول إلى بيته تنفيذا لرغبة برقوق الذي دعاهم إلى ذلك ، ولإدراكهم أنه الأقوى في هذا الصراع [251] .

استمر الحرافيش على عادتهم بالنهب والسلب كلما لاحت لهم فتنة ، فما أن دخل يلبغا الناصري إلى دمشق 791 هـ / 1389م حتى امتدت أيدي الحرافيش مع التركمان لنهب كل ما تمكنوا منه [252] ، وعندما سيطر الناصري على القاهرة بعد ذلك انضموا مع فئات الزعر والتركمان ، وقسموا أنفسهم إلى عدد من الفرق، بحيث تمضي كل فرقة إلى أحد بيوت أصحاب السلطان برقوق وإلى حواصلهم ،ونهب ما يجدونه ، وإذا لم يجدوا شيئا قلعوا الأبواب والشبابيك والطاقات والسقوف والأخشاب والرخام ، كما هاجمت فرق منهم أملاك الناس العاديين فهدموها وأخذوا ما كان بها، وتوزعت فرق منهم في ضواحي القاهرة وأخذوا بنهب أهلها وسلبهم [253] ، وعندما طلب منهم برقوق مهاجمة علي باي الذي ثار عليه في عام 800هـ /1397م ، سرعان ما هجموا على بيته وعلى بيوت من ناصره كالأمير يلبغا الأحمدي المجنون، وسرقوا كل ما فيه من شبابيك ورخام، وحولوا بيوتهم إلى خرابات [254] ، ومع هزيمة الأمير يشبك أمام مماليك السلطان فرج وجماعته سنة 803هـ /1400م هجمت الحرافيش على بيته، وعلى بيت الأمير قطلوبغا ونهبوا كل ما فيهما [255] ، وفي دمشق نهبت الحرافيش المدينة عند هزيمة السلطان فرج أثناء صراعه مع المؤيد شيخ[256] ، وانضمت الحرافيش لأعوان السلطان جقمق بعد استيلائه على السلطة عام 842هـ/ 1438م والبحث عن السلطان بعد اختفائه ، فقاموا بالهجوم على البيوت والبساتين، وكلما شكّوا بدار معينة هجموا عليها وعلى ما حولها من الدور ، كما امتدت أيديهم إلى المدارس والقبور فأخذوا كل ما فيها وحطموا الأبواب واستولوا عليها [257] .

تمكن الحرافيش من استغلال الكوارث الطبيعية والاضطرابات الاجتماعية واختلاق الأزمات في تمرير عمليات النهب والسلب وتحويلها إلى مصدر للارتزاق والتغلب على جوعهم ، ففي غلاء عام 736هـ /1335م أخذ الحرافيش بالهجوم على مخازن الغلال التابعة للأمراء [258] ، وقاموا أثناء الطاعون الأسود في عام 748هـ /1347م بخطف الخبز من شدة الجوع، غير آبهين بقيام السلطة بالقبض على عدد منهم وقطع أيديهم وأرجلهم وتسميرهم [259] ، واستغلوا اندفاع النيل نحو البيوت، وتهديم عدد منها بعد فشل الجسر الذي أنشأه السلطان بين الجيزة وبولاق سنة 749هـ / 1348م في نهب هذه البيوت بعد أن تراجعت المياه عنها [260] ، ونهبوا الأسواق والأحياء كما هي عادتهم أثناء الحرائق التي اندلعت في القاهرة سنة 750هـ /1347م [261] وعندما زاد النيل عن الحد الطبيعي سنة 785هـ / وغرق عددا من البيوت استغل الحرافيش حالة الفوضى، وقاموا بنهب البيوت التي تعرضت للغرق [262] ،وتوافقوا في عام 743 هـ /1342 على نهب خزانة البنود التي كانت سوقا وحيا للتجار الأجانب ونسائهم، فنهبوا الحوانيت، وهتكوا الأعراض [263] وساهموا مع الجلبان في عام 838هـ / 1438م بالهجوم على بيت الوزير ابن الهيصم وبيت الاستادار كريم الدين وبيت ناظر الجيش، عبد الباسط ، فكسروا الدروب المجاورة للبيوت ، وهاجموا الحمام المجاور لبيت ناظر الجيش ونهبوا ما وجدوه من الفوط والأدوات [264] .

اعتاد الحرافيش على اختلاق الأزمات أثناء المناسبات العامة والخاصة، فقد جعلوا من قدوم وفد من المغول في عام 848هـ/1434م مبررا للانتقام من أعدائهم ، فهاجموهم أثناء إقامتهم في بيت جمال الدين الاستادار وأخذوا كل ما معهم من ذهب وفصوص وشقق حرير ومسك وأنواع الفرو [265] وحولوا الاحتفال السنوي بعيد الوفاء وكسر الخليج إلى فرصة سنوية للهجوم على الناس في الطرق، وأخذ جميع ما معهم ، وقد تصل اعتداءاتهم إلى حد القتل من شدة الضرب إذا ما قاوموهم [266] ، كما استخدموا الإشاعات كوسيلة لبث الفوضى وإحداث الإرباك وبالتالي سلب الناس ونهبهم، ففي عيد الأضحى من عام 1213 هـ /1798 م انتهز أحدهم زيارة الناس للقبور، ووقف عند باب النصر وأخذ يصيح بأعلى

صوته لقد هجمت العرب عليكم (قطاع الطرق والحرامية) ، فانتشر الخبر في ضواحي وحارات القاهرة، وتربة المجاورين وباب الوزير والقرافة ، فاضطربت الناس وهاجت بينما هم انشغلوا في نهب ثياب النساء وأزرهن وعمائم الرجال ، مع أن الخبر لم يكن صحيحا ومختلقا من قبلهم (267) .

وبما أن منهم من كان صاحب صنعة أو مهنة وذ قوة جسدية تمكنه من العمل ، فقد لجأ قسم منهم إلى العمل كأجراء ، ففي فترات الأوبئة كان يقع على عاتق قسم منهم التخلص من جثث الموتى ، حيث ساهموا في طاعون عام 695 هـ /1296م في حفر القبور أو نقل الجثث وإلقائها في نهر النيل أو الحفر الجماعية المخصصة للدفن ، او للديوان في مقابل أجرة بين ربع ونصف درهم مقابل كل جثة (268) ، كما تكسبوا من خلال صناعة القلاع التي ينشئها الأمراء لاستقبال السلاطين أثناء عودتهم من الحروب أو من السفر ، إذ إن كل صاحب صنعة منهم كان يساهم في تصنيع هذه القلاع مقابل أجرة معينة (269)، بالإضافة لذلك كعتالين وحمّالين لأمتعة الناس وايصالها إلى البيوت (270) ، ومنهم من لجأ إلى المصارعة والفتوة مقابل ما يعطيهم إياه من يشاهد عراكهم (271) ، وفي أحيان نادرة إلى ممارسة الجريمة والقتل، فقد ألقى الوالي في عام 775 هـ /1373م في أحد ترب القاهرة القبض على شخص يقال له جمعة وعلى زوجته، لأنهم كانوا يقومون بخنق الأطفال وقتلهم لأجل ما عليهم من الثياب ، حيث وجد لديهم الكثير من الملابس والحلي (272) ، في حين لجأ أبناء البعض منهم إلى ترك الحرفشة والعمل بالتجارة (273) ، أو نحو التعليم فأصبح قسم من أبنائهم إما مفتيا أو قاضيا (274) .

نتائج البحث

يأتي الحرافيش في أسفل طبقة العامة خاصة ، وبالتالي في أدنى الطبقات الاجتماعية عامة ،جامعهم الرئيس العوز والفقر بالرغم من أن منهم من كان صاحب حرفة أو مهنة، أو هاربا من مناطق الأرياف بسبب وانتشار الأمراض والفقر والجوع والأوبئة وكثرة الضرائب، التي لم تكن تترك له إلا ما يقيم أودهم ، ، فكان انتقال الفرد منهم للمدن والمناطق الحضرية أملا في تغيير وضعه ، وعندما يعجزون عن تحقيق أهدافهم يلجأون إلى الحرفشة هربا من فشلهم بتغيير أحوالهم ، ومنهم من كان من الأعيان فافتقر ، فوجد في حياة الحرفشة وسيلة للهروب ونسيان واقعه ، فأصبح شحادا أو متشردا يقيم في الخرائب والأماكن المهجورة والترب بين الحشرات والهوام والفئران والقوارض ، حتى أصبح الوسخ والأمراض الجلدية والصدرية جزءاً رئيسا من حياته ، فلا اهتمام بنظافة ولا استحمام ولا ملابس مغسولة ولا مؤنقة ، إذ أغلبها رقع من ثوب بالٍ وجدوه أثناء تجوالهم ، أو حصلوا عليه كصدقة ، أو سجادة مهترئة ، فيجمعها معا ويخيطها دون تناسق لتشكل لباسهم المعروف بالمرقعة أو الدلق.

انتظم الحرافيش تحت نقابة كغيرهم من الطوائف ، فدعي رأسها إما سلطان الحرافيش أو سلطان الجعيدية (الشحادين) ، ثم استقر أخيرا شيخ المشايخ أي الحرف، نظرا لأنه أصبح مسؤولا عن أهل الحرف والصنائع ونقيبهم ، ولكن الملاحظ أن قسما كبيرا منهم امتهن الشحدة كأسهل وسيلة للتكسب، فلا يحتاج إلا إثارة عاطفة من يستجدونه أو ترديد عبارة دينية ، تحلف بأحد الرموز الدينية كالنبي والصحابة والأولياء، كي تبعث في نفس الرجل المقصود العطف والشفقة عليهم ، ولا يراعون الأخلاق والآداب العامة ، وكلما ساءت سمعتهم وجدوا بذلك مصلحة لهم ، كي يقوموا بالأعمال دون وازع ولا لوم ، لأن المجتمع أطلق عليهم مصطلح الحرافيش ، وهو في مجمله مصطلح سلبي يرادف الشحادين ، وأهل الشر والذين لا خلق لهم، ولا يلتزمون بأدب ولا قيم اجتماعية أو دينية ولا يهمهم نسب أو جاه ولا عائلة ولا نفوذ ، لأن الفقر قد سحقهم ولم يجعل للكرامة معنى

في حياتهم ، فالجوعى لا يهمهم صلاة أو صوم او التزام ، لأن الدولة العسكرية أولا والمجتمع ثانيا هم المسؤولون عما وصلوا إليه من سوء الحال .

لم يكن الحرافيش من أهل الجرائم، ولا يعدون من القتلة المجرمين المحترفين كالزعر ، لأنهم لا يعتبرون القتل وسيلة للتكسب ، ويشاركون في الحروب دفاعا عن الوطن وطمعا في المغانم ، ويشاركون في النهب والسلب عند اضطراب المجتمع بسبب عسكري خارجي ، او فتنة داخلية ، أو كارثة طبيعية كحريق أو زلزال أو مجاعة أو طاعون أو وباء ، فهم انتهازيون ، فلا تردعهم قوة الدولة وعقوباتها ، ولا يردعهم حق الآخر ، ينتقمون من الأمراء والسلاطين بنهب حواصلهم ومخازنهم وبيوتهم وقصورهم وأملاكهم كلما لاحت لهم فرصة ، ويهاجمون المؤسسات الخاصة والعامة كلما انعدم حبل الأمن وساد الفلتان .

لا يرون في الحركات الصوفية عبئا، بل يجعلون أنفسهم جزءاً منها ، فيمجدون التقشف والزهد ، ويلبسون المرقع لإظهار زهدهم وفقرهم ، ويعتمدون على الصدقات في الحصول على طعامهم ، ويشاركون في الاحتفالات فيدخلون معهم إلى الزوايا والمساجد ويمارسون أفعالهم ، لأن احتفالاتهم وسيلة للتكسب .

لا يحترمون الحكام والأمراء فيقفون في الفتن بينهم إلى جانب الأقوى والذي يعتقدون انتصاره لا حبا له ولكن أملا في أن يمكنهم من نهب المهزوم ، وبالتالي تحويل النزاعات إلى مصدر دخل ، وإذا ما سمح لهم بنهب بيت أو مدرسة أو قصر أو إسطبل ، يندفعون كالجراد فيحولون المنهوب إلى صحراء قاحلة كأن لم يكن فيها حياة البتة ، او كأن زلزالاً قد ضربها فلا يبقون حجرا على حجر، ولا شباكاً ولا باباً ولا قطعة رخام، ولا لوح خشب ولا قطعة قماش ولا قدراً ، فيصبح البيت وكأن أحدا لم يسكنه من قبل، وأن عوامل الزمن قد أتت عليه بسبب الإهمال والهجر .

تميز قسم منهم بالصلابة والقوة نظرا للمهن التي يعملون بها بين عتّال وجمال ،وقصيّر ومنظف للمجاري والأوساخ، والأوحال وشحاذ ومصارع ، ينتقلون من مكان إلى آخر بحثا عن رزق سهل دون جهد ، فامتهنوا الشحدة لأنها قد تأتي بمال أكثر من الحرفة ، ولكن كثرة المال بأيديهم لا تغير حياتهم فقد أَلِفوا حياة القلة والعوز ، فلا يؤثر المال في تغيير طباعهم لأن الطبع يغلب التطبع .

لا الزعر حرافيش ولا الحرافيش زعر فكل منهم طبقة منفصلة عن الأخرى ، وإن اشتركوا في عناصر معينة ، فالزعر عصابات مدن، مجرمون وقتلة مرتزقة، ويمارسون أعمالهم باسم الفتوة والعضلات والبنية القوية ، ، فلا يرون أهمية لحياة الآخرين ، وكل حارة لها، زعرانها ومقدمها كالحيوانات المفترسة التي تحدد أرضا لها لا يجوز لأحد الاقتراب منها ، فلا يتّحدون تحت زعامة موحدة ، ومكاسبهم من القتل وحماية بيوت الخمر والزنا والدعارة، وفرض الإتاوات على الناس البسطاء والمحتاجين وأصحاب الدكاكين والباعة ، والتعاون مع رجال السلطة وأصحاب الجاه والنفوذ لقمع الناس وتخويفهم وتمشية اعمالهم اللاأخلاقية، فكل أموالهم من المال الحرام .

اقتات الحرافيش من عدة مصادر بين البحث في المزابل عن طعام، أو ما يمكن أن يلقيه الناس من قطع قماش فيأخذونها إما لهم أو يبيعونها، والتقاط أي شيء يمكن بيعه ، وقد يهاجمون الناس في الليل، ويستجدون الآخرين ، أو ينتهزون احتفالا عاما او خاصا لنهب ما تبقى من بقايا الطعام والحلويات ، أو مهاجمة بيوت الناس والأمراء في حالات الفلتان الأمني ، وقد ينشرون الإشاعات لاحداث اضطراب وفوضى ليتخطفوا عمائم الناس وممتلكاتهم ، ويهاجمون أهل الذمة إذا ما ساءت علاقة الدولة بهم ، فيعتبرونهم مصدرا للرزق ، وعندما تطلق أيديهم في الاعتداء عليهم ، فلا يتورعون عن ضربهم وإهانتهم وسلب أموالهم ، مع أنهم بالأمس كانوا يرونهم إخوانهم ، لكن الطمع في ممتلكاتهم يغلب على أخوتهم الوطنية ، إذ يرون في ذلك انتصارا لدينهم بسبب جهلهم ، ولما بثه بعض الفقهاء الجهلة من ثقافة العداء للآخر .

وفي النهاية يسمى البعض الحرافيش بالأراذل أو الأسقاط من الناس ، وكأنهم من اختار هذه المكانة الاجتماعية ، فلا يحاكمون الظروف التي دفعتهم لذلك ، والتي تتلخص في زمن المماليك بمجموعة من العسكر والأمراء (الضباط) الذين احتكروا ثروة الأمة ، وكأن مال الدولة مالهم ، يتصرفون به كما يشاءون ، وينسون أن المال هو مال الشعب ، فتجد الواحد منهم يصرف في يوم واحد ما يصرفه الحرفوش طوال حياته ، فتخلق هذه الحالة وضعا ناقما على هذه الفئة الثرية ، ولذلك ينتظر الحرفوش اضطرابا ليعبر عن حقده ورغبته في الانتقام ممن حرمه لقمة العيش ولم يأبه بمعاناته ، وعندما تأتي الفرصة لا يضيعونها ، فيهاجمون بيوت رؤوس السلطة والأعيان ، وحتى الأماكن الدينية والعامة كمسجد أو زاوية أو رباط أو مدرسة ، غير آبهين بأهمية هذه المؤسسات ومكانتها ، لأن الجهل عنوان حياتهم ، فلم يتهذبوا في مؤسسات التعليم ، بل قضوا حياتهم في الشوارع يعانون ألم البرد والجوع ، ووطأة الضرائب وانخفاض الأجور التي تسحق حياتهم وتعمق بؤسهم في كل يوم ، مما دفعهم للحرفشة كنهج للحياة وهروب من الواقع .

الحواشي

1- محسن يوسف ،الأحداث في بلاد الشام ، مجلة دراسات عربية ،ع6/5 ، ص74 .

2- الفراهيدي ، العين ، ج3 ، ص 207/ الثعالبي ، فقه ، 129 / الجوهري ، الصحاح ، ج3 ، ص 1001 / ابن عباد ، المحيط ، 264 / ابن منظور ، لسان ، ج6 ، ص 282 / البجيرمي ، تحفة ، ج4 ، ص 159 / الهروي ،تهذيب ، ج5 ، ص 222 / إبن سيدة ، المخصص ، ج4 ، ص 82 / الزبيدي ، تاج ، ج17 ، ص 143 .

3- إبن منظور ، لسان ، ج6 ، 282 .

4- إبن عباد ، المحبط ، ص 264 .

5- البجيرمي ، تحفة ، ج4 ، ص 189 .

6- أحمد مختار عبدالحميد ، معجم اللغة ، ج1 ، ص 477 .

7- الهروي تهذيب ،ج5 ، ص 222 / الجوهري ، الصحاح ، ج3 ، 1001 إبن منظور ، لسان ج6 ، ص 282 / الثعالبي ، فقه ، ص129 / إبن عباد ، المحيط ، ص264 .

8- الزبيدي ، تاج العروس ، ج17 ، ص 142 .

9- الفراهيدي ، العين ، ج3 ، ص 207 .

10- إبن منظور ، لسان ، ج6 ، ص 282 .

11- الصيرفي ، إنباء الهصر ، ص 279 .

12- إبن تغري بردي ، حوادث ، ج2 ، ص 490 .

13- الزبيدي ، تاج العروس ، ج7 ، ص 143 / إبن منظور ، لسان ، ج6 ، 282 / إبن سيدة ، المخصص ، ج4 ، ص 82 .

14- إبن طوق ، التعليق ، ج3 ، ص 1119 ، 1124 .

15- إبن حجر ، إنباء ، ج6 ، ص83 / الصيرفي ، نزهة ، ج2 ، ص 244 .

16- Brinner ,The Significance , p 193

17- الصفدي ، الوافي ، ج4 ، ص 234 .

18- العليمي ، الأنس الجليل ، ج2 ، ص 304 .

19- السيوطي ، صاحب الذوق ، ص 38-39 .

20- السبكي ، معيد ، ص147-148 .

21- إبن تغري بردي ، النجوم ج15 ، ص 98 .

22- الجزري ، تاريخ ، ج2 ، ص 179 .

23- إبن قاضي شهبة ، تاريخ ، ج1 ، ص 542 .

24- م ، ن ، ج3 ، ص 652 .

25- المقريزي ، السلوك ، ج4 ، ص55 .

26- إبن تغري بردي ، حوادث ، ج2 ، ص 334 .

27- إبن تغري بردي ، النجوم ، ج12 ، ص 318 .

28- الجزري ، تاريخ ، ج1 ، ص 357 .

29- عبد الباسط ، نيل ، ج1 ، ص 151 .

30- الجزري ، تاريخ ، ج1 ، ص 225-226 .

31- العليمي ، الأنس الجليل ، ج2 ، ص29 .

32- المقريزي ، السلوك ، ج7 ، ص 353 / إبن حجر ، إنباء ، ج3 ، ص 121 / إبن تغري بردي ، النجوم ، ج15 ، ص 98 / الصيرفي ، نزهة ، ج3 ، ص 49 ، 409 / عبد الباسط ، نيل ، ج5 ، ص 28 .

33- المقريزي ، السلوك ، ج7 ، ص 461 .

34- الصيرفي ، إنباء ، ص 123 ، 213 / الوزان ، وصف ، ص 597 .

35- إبن إياس ، بدائع ، ج4 ، ص 108 .

36- م، ن ، ص 108 .

37- م ، ن ، ص 250 .

38- المقريزي ، السلوك ، ج5 ، ص 143 / الصيرفي ، نزهة ، ج1 ، ص 5 .

39- إبن إياس ، بدائع، ج1 ، ص 311 .

40- السبكي ، معيد ، ص 134 .

41- الصفدي ، الوافي ، ج8 ، ص 191-192 / إبن كثير ، البداية ، ج13 ، ص 314 ، العيني ، عقد ، ج13، ص370 / إبن تغري بردي ، النجوم ، ج7 ، ص 378-379 .

42- العصامي ، سمط ، ج4 ، ص 342 .

43- إبن حجر ، إنباء ، ج7 ، ص 227 .

44- المقريزي ، السلوك ، ج3 ، ص 304 .

45- م ، ن ، ص461 .

46- إبن تغري بردي ، حوادث ، ج1، ص 252 .

47- الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج52 ، ص 480/ الصفدي ، الوافي ، ج17 ، ص 371 ، أعيان العصر ، ج3 ، ص 807 .

48- إبن حجر ، إنباء ، ج4 ، ص 63 ، الذيل على الدرر ، ص72-73 / السخاوي ، الضوء ، ج5 ، ص20 .

49- السخاوي ، الضوء ، ج8 ، ص 214 .

50- م ، ن ، ج12 ، 111 .

51- م ، ن ، ج1 ، ص 163-164 .

52- م ، ن ، ج3 ، ص 187 .

53- الغزي ، أعيان ، ج1 ، ص 321 / الحنبلي ، شذرات ، ج10 ، ص 233 .

54- السخاوي ، الضوء ، ج12 ، 92 .

55- إبن إياس ، بدائع ، ج1 ، ص311 .

56- إبن طوق ، التعليق ، ج2 ، ص 619 .

57- الشجاعي ، تاريخ ، ص 107 أ ، 115 أ .

58- إبن تغري بردي ، النجوم ، ج11 ، ص 117 .

59- م ، ن ، ج16 ، ص 75 .

60- إبن تغري بردي ، حوادث ، ج 1 ، ص 181 .

61- إبن صصرى ، الدرة ، ص 6.

62- المقريزي ، السلوك ، ج7 ، ص 333/ إبن تغري بردي ، النجوم ، ج5 ، ص 98 / الصيرفي ، نزهة ، ج3، ص408/ إبن طوق ، التعليق ، ج3 ، ص 1295 / الغزي ، أعيان المئة ، ج1 ، ص 321 .

63- السخاوي ، التبر ، ص349 / إبن طوق ، التعليق ، ج3 ، ص 1295 ، 1487 .

64- إبن طوق ، التعليق ، ج3 ، ص 355 .

65- إبن إياس ، بدائع ، ج5 ، ص 43 / المحبي ، خلاصة الأثر ، ج4 ، 145 .

66- ابن صصرى ، الدرة ، ص 6 / إبن إياس ، بدائع ، ج5 ، ص 43 .

67- المقريزي ، السلوك ، ج7 ، ص 333 ، 353 / إبن تغري بردي ، النجوم ، ج5 ، ص 98 / الصيرفي ، نزهة ج3 ، ص 408 / القاضي عبدالباسط ، نيل ، ج5 ، ص 28 .

68- إبن طوق ، التعليق ، ج1 ، ص 355 .

69- إبن طوق ، التعليق ، ج1 ، ص 282 ، 320 ، 340 ، ج3 ، 1295 / إبن طولون ، مفاكهة ، ص 92 .

70- إبن طوق ، التعليق ، ج1 ، ص 371 .

71- م ، ن ، ص 144 .

72- م ، ن ، ص 276 .

73- م ، ن ، ص 279 .

74- م ، ن ، ص 275 .

75- إبن الفرات ، تاريخ ، م1 ، ج9 ، ص 240 / المقريزي ، السلوك ، ج5 ، ص 300 / إبن حجر ، إنباء ، ج1 ، ص 405 .

76- إبن بطوطة رحلة ، ص 59 .

77- الصيرفي ، نزهة ، ج3 ، ص 409 .

78- الدواداري ، زبدة ، ص 87-88 / إبن دقماق ، التحفة المسكية ، ص57 / إبن إياس ، بدائع ، ج1 ، 319 .

79- الدواداري ، زبدة ، ص 106 .

80- م .ن ، ص306 .

81- إبن دقماق ، التحفة ، ص 214 / المقريزي ، السلوك ، ج4 ، 375-376 / إبن ، حجر ، إنباء ، ج 2 ، ص92 / عبد الباسط ، نيل ج2 ، ص81 .

82- المقريزي ، السلوك ، ج5 ، ص 384 / الصيرفي ، نزهة ، ج1 ، 424-425 .

83- المقريزي ، در العقود ، ج2 ، ص 148 / السلوك ، ج6 ، ص 157 / إبن حجر ، إنباء ، ج5 ، 297 .

84- إبن حجر ، إنباء ن ج7 ، ص 204 .

85- الجزري ، ناريخ ، ج1 ، ص 387 / العيني ، عقد ، ج1 ، ص 322 / إبن تغري بردي ، النجوم ، ج8 ، ص 88 .

86- الصفدي ، الوافي ، ج 16 ، ص 251 .

87- المقريزي ، السلوك ، ج3 ، ص 356 .

88- المقريزي ، در العقود ، ج2 ، ص128 .

89- إبن بطوطة ، رحلة ، ج1 ، ص 59-60 / الصفدي ، أعيان ، ج2 ، ص 587 .

90- الصفدي ، الوافي ، ج 6 ، ص 21 .

91- العيني ، عقد ، ج 1 ، ص 236 .

92- م ، ن ، ص 281 .

93- م ، ن ، ص 336 .

94- إبن دقماق ، التحفة ، ص 114 .

95- المقريزي ، السلوك ، ج3 ، ص 220 ، 270 .

96- المقريزي ، السلوك ، ج 3 ، ص 359 .

97- الشجاعي ، تاريخ ، ص 184 أ – 185 أ (مخطوط) .

98- المقريزي ، السلوك ، ج 3 ، ص 368 .

99- م ، ن ، ص 359-360 .

100- الصفدي ، أعيان ، ج1 ، 544 ، ج9 ، 174 / إبن تغري بردي ، المنهل ، ج2 ، ص 460-462 / عبد الباسط ، نيل ، ج1 ، ص149 .

101- المقريزي ، السلوك ، ج 5 ، ص 82 .

102- إبن حجر ، إنباء ، ج2 ، ص 79 .

103- إبن الفرات ، تاريخ ، م9 ، ج2 ، ص459 – 460 / المقريزي ، السلوك ، ج5 ، 397 .

104- إبن طوق ، التعليق ، ج1 ، 442 ، 485 ، 548 ، ج2 ، ص612 ، 952 ، ج4 ، ص 1600 ، 1615 ، 1661 / إبن طولون ، مفاكهة ، ص169 ، 172 .

105- إبن طوق ، التعليق ، ج2 ، ص 946 ، 978 ، ج4 ، ص 1660.

106- م ، ن ، ج4 ، ص 1618 .

107- م ، ن ، ج1 ، ص 463 ، ج2 ، 731 .

108- ابن تغري بردي ، النجوم ، ج 5 ص 98 .

109- المقريزي ، السلوك ، ج3 ، ص 379 .

110- المقريزي ، الحطط ، ج3 ، ص 61 .

111- الدواداري ، ، كنز ، ج7 ، ص 207 .

112- م ، ن ، ص376 .

113- المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص 427 .

114- الدواداري ، كنز ، ج 8 ، ص 126 .

115- العيني ، عقد ، ج1 ، 221 .

116- المقريزي ، السلوك ، ج 5 ، ص 106 .

117- العيني ، عقد ، ج1 ، ص 423 / إبن تغري بردي ، النجوم ، ج ، ص 163 .

118- اليوسفي ، نزهة ، ص 398-399 .

119- الشجاعي ، تاريخ ، 151 أ ، 154أ ، 180ب / الصفدي ، الوافي ، ج8 ، 208-209 / أعيان ، ج4 ، ص138-140 / إبن الوردي ، تتمة ، ج2 ، ص 321 / إبن دقماق ، التحفة ، ص 144 / إبن قاضي شهبة ، تاريخ ، ج1 ، ص 212 ، 228 / المقريزي ، السلوك ، ج 3 ص ، 343 ، 356 ، إبن تغري بردي ، مورد اللطافة ، ج2 ، ص 172 ، النجوم ، ج10 ، ص29 .

120- إبن تغري بردي ، ، النجوم ، ج16 ، ص 68 .

121- إبن طولون ، مفاكهة ، ص 16-17 .

122- إبن طوق ، التعليق ، ج1 ، ص 499 .

123- م ، ، ج3 ، ص 1117 .

124- م ، ن ، ج4 ، ص 1615 .

125- م ، ن ، ج4 ، 1609 .

126- م ، ، ، ج2 ، ص 621 .

127- م ، ن ، ج 3 ، ص 1197 .

128- المقريزي ، السلوك ، ج3 ، ص 362-363 .

129- م ، ، ج3 ، ص 354 .

130- م ، ن ، ج3 ، ص 384 .

131- السبكي ، معيد ،ص125 /إبن حجر ، إنباء ، ج7 ، ص93 / ابن تغري بردي ، حوادث ، ج1 ، ص 99/ الصيرفي ، نزهة ، ج2 ، ص99 / السخاوي ، الضوء ، ج،1ص 226 ،227 ، ،ج11 ،ص 66 .

132- إبن عبد الظاهر ، الروضة ، ص63 / إبن دقماق ، التحفة ، ص 59 / المقريزي ، السلوك ، ج6 ، ص513/ الصيرفي ، نزهة ، ج3 ، ص144 /إبن إياس ، بدائع ، ج4 ، ص 153 / السمين الحلبي ، عمدة الحفاظ ، ج3 ، ص 151 /الشربيني ، الاقناع ، ج2 ، ص 531 / مغني المحتاج ، ج5 ، ص516 .

133- إبن طوق ، التعليق ، ج1 ص 275 .

134- م ، ن ، ج3 ، ص 1141 .

135- الجبرتي ، عجائب ، ج2 ، ص 242-243 .

136- المقريزي ، السلوك ، ج3 ، ص 380 / السخاوي ، الضوء ،ج1 ، ص 17 ، ج5 ، ص 20 .

137- المحبي ،خلاصة الأثر ، ج4 ، ص 20 .

138- المقريزي ، السلوك ، ج3 ، ص243/ عبدالباسط نيل ، ج5 ، ص28.

139- المقريزي ، السلوك ، ج3 ص 90 .

140- الشجاعي ، تاريخ ، ص 22 أ ، 120ب /المقريزي ، السلوك ، ج3 ، ص247 ,

141- المقريزي ، خطط ، ج3 ، ص 293 .

142- م ، ن ، 295 .

143- اليوسفي ، نزهة ، 450 .

144- الشجاعي ، تاريخ ، 16أ /المقريزي ، السلوك ، ج3 ، ص233 .

145- المقريزي ، الخطط ، ج3 ، 297 .

146- المقريزي ، السلوك ، ج4 ، ص 119 .

147- م ، ن ،ج6 ، ص 501 .

148- إبن طوق ، التعليق ، ج1 ، ص 283 .

149- إبن تغري بردي ، المنهل ، ج2 ، ص 2 ، 275 .

150- السخاوي ، التبر ، ص 349 / البجيرمي ، تحفة ، ج4 ، ص 189 .

151- عبد الباسط ، نيل ، ج1 ، 152 .

152- المقريزي ، السلوك ، ج7 ، ص 69 / السخاوي ، الضوء ، ج1 ، ص164 / عبدالباسط ، نيل ، ج4 ، ص120 .

153- ابن حجر ، إنباء ، ج7 ، ص 222، 223 .

154- المقريزي السلوك ، ج7 ، ص 69 .

155- إبن قاضي شهبة ، تاريخ ، ج1 ، ص 679 .

156- المقريزي ، السلوك ، ج2 ، ص 347-348 / الصيرفي ، إنباء ، ص 188 / عبدالباسط ، نيل ، ج1 ، 77 .

157- إبن تغري بردي ، حوادث ، ج1 ، ص 212 ,

158- عبد الباسط ، نيل ، ج8 ، ص 78 .

159- إبن حجر ، إنباء ، ج1 ، ص154-155 .

160- المقريزي ، السلوك ، ج6 ، ص 120 .

161- إبن طوق ، التعليق ، ج1 ، ص 129/ غبدالباسط ، نيل ، ج8 ، ص 60 .

162- عبدالباسط ، نيل ، ج2 ، ص 83 .

163- إبن الفرات ، تاريخ ، م 9 ، ج2 ، ص 433 .

164- المقريزي ، إغاثة ، ص15/إبن حجر إنباء، ج5 ، ص195 .

165- إبن تغري بردي ، النجوم ، ج2 ، ص 327 .

166- إبن إياس ، بدائع ، ج3 ن ص 327 .

167- عبدالباسط ، نيل ، ج8 ، ص 58-60 .

168- المقريزي ، السلوك ، ج4 ، 375/ إبن حجر ، إنباء ، ج2 ، ص 93/ عبدالباسط ، نيل ، ج2 ، ص 78-79 .

169- إبن حجر ، إنباء ، ج5 ، ص 136-137 .

170- إبن إياس ، بدائع ن ج3 ، ص 268 .

171- إبن قاضي شهبة ، تاريخ ، ج1 ، ص 679 / المقريزي ، السلوك ، ج7 ، ص 65 ، 204 /إبن حجر ، إنباء ، ج5 ، ص 136-137 ،ج6 ، ص 409 .

172- إبن حجر ، إنباء ،ج7 ، ص 222 .

173- السبكي ، معيد ، ص 76 .

174- إبن إياس ، بدائع ، ج3 ، ص 267 .

175- إبن كثير ، البداية ، ج12 ، ص 314 / النويري ، الالمام ، ج4 ، ص 127 / العيني ، عقد ، ج1 ،ص 207 .

176- اليوسفي ، نزهة ، ص 178 .

177- إبن الفرات ، تاريخ ، م8 ، ص 177 .

178- الذهبي ، العبر ، ج3 ، ص 358 ، سير ، ج52 ، ص 41 .

179- إبن حج ، إنباء ، ج8 ، ص 284 / عبدالباسط ، نيل ، ج4 ، ص 328 .

180- الأنطاكي ، تاريخ ، ص 444 .

181- العيني ، عقد ، ج1 ، ص 257.

182- م، ن ، ص 389 .

183- النويري ، نهاية ، ج33 ، ص 18/ إبن كثير ، البداية ، ج14 ، ص 98 .

184- النويري ، نهاية ، ج33 ، ص 18 .

185- المقريزي ، السلوك ، ج3 ، ص 360 .

186- المقريزي ، تاريخ الأقباط ، ص 236 .

187- ابن الجزري ، حوادث ، ج1 ، ص 1026-1027 .

188- ، م ، ن ، ج1 ، ص 283 .

189- المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص 494 / إبن إياس ، بدائع ، ج1 ، ص 294 .

190- إبن إياس ، بدائع ، ج1 ، ص 294 .

191- إبن الفرات ، تاريخ ، م8 ، ص 200 .

192- إبن دقماق ، النفحة ، ص 301 .

193- إبن الفرات ، تاربخ ، م9 ، ج2 ، ص425 ، 432 ، 433 ، 434 ، 436 / المقريزب ، السلوك ، ج5 ، 384 ،385 ، 386 / إبن حجر ، إنباء ، ج3 ، ص 282، 292 /الصيرفي ، نزهة ،ج1 ، ص 426 ، 428 .

194- عبدالباسط ، نيل ، ج3 ، ص 297 .

195- إبن حجر إنباء ، ج7 ، ص 357/ الصيرفي ، نزهة ، ج2 ، ص 456 .

196- إبن تغري بردي ، احوادث ، ج2 ، ص 365 .

197- ابن الفرات ، تاريخ ، م8 ، ص 135 .

198- ابن تغري بردي ، النجوم ، ج12 ، ص 48 .

199- المقريزي ، السلوك ، ج5 ، ص 429 .

200- م ، ن ، ج6 ، ص 404 .

201- م ، ن ، ج7 ، ص 131 .

202- الدواداري ، زبدة ، ص 89 .

203- إبن دقماق ، النفحة ، ص 301 .

204- المقريزي ، السلوك، ج7 ، ص 267 ، 298 .

205- ابن اياس، بدائع ، ج4 ن ص 94 .

206- العيني ، عقد ، ج1 ، ص 240 .

207- الصيرفي ، نزهة ، ج1 ، ص 359 .

208- إبن حجر ، إنباء ، ج3 ، ص 395 .

209- إبن حجر ، إنباء ، ج4 ، ص 4 / إبن تغري بردي ، النجوم ، ج12 ، ص 74-75 ، 83 / الصيرفي ، نزهة ، ج1 ، ص 493 .

210- المقريزي ، السلوك ، ج7 ، 18 .

211- المقريزي ، السلوك ، ج7، ص 264 ، 347 / الصيرفي ، نزهة ، ج3 ، ص 279 ، 401 .

212- إبن الفرات ، تاريخ ، م8 ، ص 143 .

213- م، ن ، م9 ، ص 418 .

214- ابن الفرات ، تاريخ ، م8 ، ص 97 / ابن تغري بردي ، النجوم ، ج12 ، ص 84 .

215- المقريزي ، السلوك ، ج 7 ، ص 15 .

216- الصيرفي ، نزهة، ج1 ، ص 383 .

217- إبن حجر ، إنباء ، ج3 ، ص 384-385 .

218- عبدالباسط ، نيل ، ج1 ، ص 152 .

219- إبن الفرات ، تاريخ ، م8 ، ص 104 .

220- إبن تغري بردي ، النجوم ، ج10 ، ص 178 .

221- المقريزي ، السلوك ، ج5 ، ص178 / الصيرفي ، نزهة ، ج1 ، ص 122 .

222- أبن حجر ، إنباء ، ج2 ، ص 367 .

223- م ، ن ، ج5 ، ص310 .

224- المقريزي ، در العقود ، ج2 ، ص 159 .

225- إبن طوق ، التعليق ، ج4 ، 1655-1656 .

226- إبن طولون ، إعلام ، ص 110 .

227- إبن حجر ، إنباء ، ج4 ، ص 349 .

228- الجزري ، حوادث ، ج2 ، ص 236 .

229- م ، ن ، ج2 ، ص244 .

230- م ، ن ، ج2 ، ص222 .

231- م ، ن ، ج2 ، ص 290 .

232- إبن بطوطة ، رحلة ، ج2 ، ص 747 / أبو الفداء ، المختصر ، ج4 ، ص 151 ،ج7 ، 175 / إبن الوردي ، تتمة ، ج2 ، ص 338 / أحمد أبيش ، دمشق ، ص 316 .

233- النويري ، نهاية ، ج30 ، ص 73 .

234- العيني ، عقد ، ج1 ، ص 247 .

235- م ، ن ، ص 426-427 .

236- إبن الفرات ، تاريخ ، م9 ، ج1 ، ص 199 / إبن تغري بردي ، النجوم ، ج12 ، ص 4 .

237- إبن حجر ، إنباء ، ج7 ، ص 361 .

238- المقريزي ، السلوك ، ج7 ، ص 353 / إبن تغري بردي ، النجوم ، ج5 ، ص 97-80/ الصيرفي ، نزهة ، ج3 ، ص 408 .

239- إبن طولون ، مفاكهة ، ص 379 ، إعلام ، ص242 .

240- إبن الفرات ، تاريخ ، م7 ، ص 277 .

241- المقريزي ، السلوك ، ج5 ، ص 178 / إبن تغري بردي ، النجوم ، ج10 ، ص200 /الصيرفي ، نزهة ، ج1 ، ص135 / عبدالباسط ، نيل ، ج2 ، ص 239 .

242- الدواداري ، زبدة ، ص 199 / العيني ، عقد ، ج1 ، ص 181 .

243- العيني ، عقد ، ج1 ، ص 236 .

244- الدواداري ، كنز ، ج8 ، ص 348 .

245- العيني ، عقد ، ج1 ، ص 356 .

246- م ، ن ، ج1 ، ص 415 .

247- إبن إياس ، بدائع ، ج5 ، ص 43-44 .

248- الشجاعي ، تاريخ ، ص 181أ ، 184 أ / الصفدي ، أعيان ، ج4 ، ص 139-140 / الوافي ، ج 8 ، ص 208-209 / أبو الفداء ، المختصر ، ج4 ، ص 136 / إبن قاضي ، شهبة ، تاريخ ، ج1 ، ص 228-229 / المقريزي ، السلوك ، ج3 ، ص 352-353 ، إبن تغري بردي ، مورد اللطافة ، ج2 ، ص 72 .

249- المقريزي ، السلوك ، ج3 ، ص359 .

250- إبن دقماق ، التحفة ، ص 183 .

251- إبن دقماق ، النحفة ، ص 232 / المقريزي ، السلوك ، ج5 ، ص 82 .

252- المقريزي ، السلوك ، ج5 ، 221 .

253- إبن الفرات ، تاريخ ، م9 ، ج1 ، ص 89-90 .

254- المقريزي ، السلوك ، ج5 ، ص 418-419/ إبن حجر ، إنباء ، ج3 ، ص 390 /إبن تغري بردي ، النجوم ، ج12 ، ص 71 / الصيرفي ، نزهة ، ج1 ، ص 469 .

255- الصيرفي ، نزهة ، ج2 ، ص 111 .

256- إبن حجر ، إنباء ، ج7 ، ص 56 .

257- المقريزي ، السلوك ، ج7 ، ص 41 .

258- اليوسفي ، نزهة ، ص30 / المقريزي ، السلوك ، ج3 ، ص 201 .

259- الصفدي ، أعيان ، ج1 ، ص 460 .

260- المقريزي ، السلوك ، ج4 ، ص 78 / عبدالباسط ، نيل ، ج1 ، ص 169 .

261- المقريزي ، الخطط ، ج3 ، ص 59-60 .

262- المقريزي ، السلوك ، ج5 ، ص 155 .

263- م ، ن ، ج3 ، 379 .

264- العيني ، عقد ، عبدالرزاق القرموط ، ص 455 .

265- إبن تغري بردي ، حوادث ، ج1 ، ص110 .

266- إبن الحاج ، المدخل ، ج1 ، ص 271 .

267- الجبرتي ، عجائب ، ج2 ، ص 257 .

268- الجزري ، حوادث ، ج1 ، ص 285 / إبن الفرات ، تاريخ ، م8 ، ص 211 .

269- العيني ، عقد ، ج1 ، ص 427 .

270- إبن حجر ، إنباء ، ج3 ، ص 366 .

271- السخاوي ، وجيز ، ج1 ، ص 29 .

272- عبد الباسط ، نيل ، ج1 ، ص 61 .

273- إبن طوق ، التعليق ، ج2 ، ص 619 .

274- السخاوي ، الضوء ، ج8 ، ص 214 ، ج11 ، ص 3 .

المصادر والمراجع

* أحمد مختار عبد الحميد

- معجم اللغة العربية المعاصرة ، 4ج ، ط1 ، عالم الكتب ، 2008 .

* الأنطاكي يحيى بن سعيد بن يحيى (ت 458هـ /1066م)

- تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا ، عمر عبدالسلام تدمري ، لبنان ، جروس برس طرابلس ، 1990 .

*ابن إياس محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت930هـ 1524م):

- بدائع الزهور في وقائع الدهور ، 5ج ، ط3 ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1404هـ /1984 م.

* البجيرمي سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي المصري الشافعي (ت 1221هـ /1806م)

- تحفة الحبيب على شرح الخطيب ، 4 ج ، دار الفكر ، 1995 .

* البديري الحلاق أحمد بن بدير بن شهاب (ت 1175 هـ / 1761م)

- حوادث دمشق اليومية ، (المكتبة الشاملة)

* ابن بطوطة (779هـ/1377م)

- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، علي الكتاني ، 2ج ، ط4 ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1405هـ .

* ابن تغري بردي يوسف بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى:(874هـ /1469م)

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة 16ج ، مصر ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب العلمية ، د ، ت.

- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، 7 ج ، تحق محمد محمد أمين ، تقديم سعيد عبد الفتاح عاشور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د . ت .

- مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة ، 2ج ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ، د.ت .

- حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور ، 2ج ، ط1 ، عالم الكنب ، 1990.

* الثعالبي عبدالملك بن محمد بن اسماعيل (ت 429هـ / 1038م)

- فقه اللغة وسر العربية ، ط1 ، دار إحياء التراث العربي ، 2002 .

* الجبرتي عبد الرحمن بن جسن (1237 هـ/1821م)

- عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، 3ج ، بيروت ، دار الجيل .

* الجزري (738هـ/ 1337م)

- تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه ، 3ج ، ط1 ، عبدالسلام تدمري ، بيروت ،شركة أبناء شريف الأنصاري ، للطباعة والنشر والتوزيع ، 1998 .

* إبن الحاج محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي (ت 737 هـ / 1336م)

- المدخل ، 4ج ، دار التراث ، د . ت .

*إبن حجر شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ/1448م)

- إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ ، 9 ج، ط2 ، محمد عبدالمعيد خان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1406هـ / 1986م .

- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، 3ج ، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي ، بيروت ، دار المعرفة ، 1379 هـ.

- ذيل الدرر الكامنة في أعيان المئة التاسعة ، 4ج ، محمد عبدالوارث ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1997 .

* الحضرمي الطيب بن عبدالله بن أحمد بن غلي الهجراني الحضرمي (ت 947هـ/ 1540م)

- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر ، 6ج ، ط1 ، عني به أبو جمعة مكري ، خالد زواري ، جدة ، دار المنهاج ، 2008 .

* الحنبلي عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العكري (ت 1089 هـ)

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، 11 ج ، ط1 ، محمود الرناؤوط ، ، دمشق ، بيروت ، دار ابن كثير ، 1986 .

*إبن دقماق (805هـ/1402م)

- التحفة المسكية في الدولة التركية ، ط1، بيروت ، المكتبة العصرية ، 1999 .

* الدواداري (713هـ/ 1313م)

- زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، ، س. ريتشارد ، بيروت ، الشركة المتحدة للتوزيع ، 1998 ,

- كنز الدرر ، 9ج ، هانس روبرت ، قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار ، 1960 .

* الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت 748/ 1347م)

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، 52هـ ، ط2 ، عمر عبد السلام التدمري ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1993 .

- العبر في خبر من غبر ، 4ج ، أبو هاجر محمد بن السعيد بن بسيوني زغلول ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د. ت .

- سير أعلام النبلاء ، 23ج ، ط9 ، شعيب الارناؤوط ، محمد العرقسوسي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1413 هـ .

* الرازي محمد بن أبي بكر (ت 721 هـ/ 1321م)

- مختار الصحاح تحقيق محمود خاطر ، بيروت ، لبنان ، مكتبة لبنان ، 1995 .

* الزبيدي محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي (ت 1205 هـ/ 1790م)

- تاج العروس من جواهر لبقاموس . مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، د . ت .

* السبكي تاج الدين عبدالوهاب (771 هـ / 1369م)

- معيد النعم ومبيد النقم ، ط2 ، محمد علي النجار وغيره ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1993 .

* السخاوي شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد (المتوفى: 902هـ/1496م)

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ،6ج ، بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، د، ت.

- وجيز الكلام في الذيل على دول الاسلام ، 4ج ،ط1 ، بشار عواد وغيره ، بيروت ، مؤسسة الرسالة 1995.

- التحفة اللطيفة في أخبار المدينة ، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1993 .

- التبر المسبوك في ذيل السلوك ، مصر ، مكتبة الكليات الأزهرية ، د ، ت .

* السمين الحلبي أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت 756 هـ / 1355م)

- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، 4ج ، ط1 ، محمد باسل ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1996 م.

* ابن سيدة المرسي علي بن إسماعيل (ت 458 هـ /1066م)

- المخصص ، 5ج ، ط1 ، خليل إبراهيم جفال ، بيروت ، دار إحياء التراث ، د ، ت .

* السيوطي عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين (911هـ/1505م)

- صفة صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم ، ط2 ، دار إبن حزم ، 1994 .

* الشجاعي ،

- تاريخ الشجاعي ، (مخطوط الجامعة الأردنية) .

* الشربيني ، محمد بن أحمد الخطيب (ت 977 هـ /1569م)

- الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع ، 2ج ، بيروت ، دار الفكر ، د، ت

* الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك بن عبدالله الصفدي (ت 764 هـ / 1363م)

- الوافي بالوفيات ، 29ج ، بيروت ، دار احياء التراث ، 1420هـ/2000م.

- أعيان العصر وأعوان النصر ، 5ج ، ط1 ، علي أبو زيد وغيره ، بيروت دار الفكر المعاصر ،1998 .

*ابن صصرى

- الدرة المضية في الدولة الظاهرية ، تحقيق وترجمة وليم برينر ، بيركلي ، جامعة كاليفورنيا ، 1963 م.

*الصيرفي علي بن داود الصيرفي (900هـ /1150م)

- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ، 3ج ، حسن حبشي ، مطبعة دار الكتب ، الجمهورية العربية المتحدة ، 1971 م .

- أنباء الغمر بأنباء العصر ، حسن حبشي ، القاهرة ، دار الغكر العربي ، 1970 .

*الطحاوي أحمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (ت321هـ / 933م)

- شرح معاني الآثار ،5ج ، ط1 ، تح محمد النجار ومحمد جاد الحق ، عالم الكتب ، 1994 م.

*ابن طوق أحمد (915هـ/1509 م)

- التعليق يوميات شهاب الدين أحمد بن طوق، 4ج ، ط1 ، تح الشيخ جعفر المهاجر ، دمشق ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ، 2000.

*ابن طولون شمس الدين محمد بن علي بن خمارويه بن طولون الدمشقي الصالحي الحنفي (المتوفى: 953هـ(

- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، ط1 ، خليل المنصور ، بيروت ،1418 هـ - 1998 م .

- إعلام الورى بمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى ، ط2 ، محمد أحمد دهمان ، دمشق ، دار الفكر ، 1984 م.

* إبن عباد إسماعيل بن عباد أبو القاسم الطالقاني (ت 385 هـ /955م)

المحيط في اللغة ، المكتبة الشاملة .

* إبن هبد الظاهر (692هـ/1293م)

الروضة البخية في حطط المعزية القاهرة ،ط1 ، أيمن فؤاد سيد ، القاهرة ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، 1996 .

*العصامي ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (المتوفى: 1111هـ/1699م)

سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، 4 ج ،ط1 ، عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض ، بيروت ، دار الكتب العلمية ،1419 هـ - 1998 م .

- العليمي عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن العليمي الحنبلي أب اليمن مجير الدين (ت 928هـ/1522م)

الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، 2ج ، عدنان نباتة ، مكتبة دنديس ، عمان ، د ، ت .

*العيني محمد بن أحمد بن احمد بن حسين العينتابي الحنفي(ت 855 هـ /1451م) :

عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، ط1 ،تح عبدالرازق القرموط ، الزهراء للاعلام العربي ، 1989 م .

* الغزي نجم الدين محمد بن محمد (ت 1061 هـ/ 1651م)

الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة ، 3ج ، ط1 ، خليل منصور .بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1997 .

*الفارابي أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (المتوفى: 393هـ/1003م)

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 6ج ، ط4 ، تحق أحمد عبد الغفور عطار ، بيروت ، دار العلم للملايين ،1407 هـ - 1987 م.

* أبو الفداء

المختصر في أخبار البشر ، 4ج ، ط1 ، المطبعة الحسينية المصرية ، د ،ت .

*ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ/1372م)

البداية والنهاية 15ج، دار الفكر ، 1407 هـ - 1986 م .

*ابن الفرات (ت 807 هـ / 1405 م)

تاريخ ابن الفرات ، 9ج ، تحرير حسن محمد الشماع ، جامعة البصرة ، كلية الآداب.

*الفراهيدي أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت: 170هـ/ 786م)

كتاب العين ، 8ج ، تحق مهدي المخزومي ، إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال ،د ،ت.

*القاضي عبدالباسط زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل بن شاهين الظاهريّ الملطيّ ثم القاهري الحنفيّ (ت: 920هـ/1514م)

نيل الأمل في ذيل الدول المحقق: 9ج ، ط1 ، تحق عمر عبد السلام تدمري ، بيروت ، لبنان ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، 1422 هـ - 2002 م.

*ابن قاضي شهبة أحمد بن محمد (ت851 هـ / 1447م

- طبقات الشافعية ، 4ج ، ط1 ، تح عبدالعليم خان ، بيروت ، عالم الكنب ، 1407هـ.

- تاريخ إبن قاضي شهبة ، 4م ، ط1 ، تح عدنان درويش ، دمشق ، المديرية العامة للشؤون الثقافية والعلمية والفنية بوزارة الخارجية الفرنسية ، 1997.

* المحبي محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المجبي الحموي الدمشقي (ت 1111 هـ/1699م)

خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، 4ج ، بيروت ، دار صادر ، د ، ت ، .

* المقريزي أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين (ت: 845هـ1441م)

- السلوك لمعرفة دول الملوك ،8ج ، ط1 ، تحق محمد عبد القادر عطا ، 1418هـ / 1997م.

- الخطط ، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، 4ج ، ط1 ، وضع حواشيه خليل المنصور ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1418 هـ /1998 م.

- إغاثة الأمة بكشف الغمة ، ط1 ، أحمد فرحات ، مصر ، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية ، 2007 .

- تاريخ الأقباط ، عبد المجيد ذياب ، دار الفضيلة ، د، ت .

- در العقود المفيدة في تراجم الأعيان المفيدة ، 2ج ، عدنان درويش ومحمد المصري ، دمشق ، وزارة الثقافة ، 1995 .

* ابن منظور محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: 711هـ/1311م)

لسان العرب ،15ج ، ط3 ،بيروت ، دار صادر ، 1414 هـ.

* النويري ، أحمد بن عبدالوهاب بن محمد بن عبدالدائم القرشي التيمي البكري (ت 733هـ/1332م)

نهاية الأرب في فنون الأدب ، 33ج ، ط1 ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، 1423هـ .

*الهروي محمد بن أحمد بن ، أبو منصور الأزهري (ت: 370هـ/980م)

تهذيب اللغة ، 8ج ، ط1 ، تحق محمد عوض مرعب ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، 2001م

* إبن الوردي 749 هـ/1348م

تتمة المختصر في أخبار البشر ، 2ج ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1996 .

- يوسف محسن

الأحداث في بلاد الشام في القرون العاشر حتى الثاني عشر ميلادي ، مجلة دراسات عربية ، ع 6/5 ، بيروت ، آذار – نيسان ، 1992 ، ص 74-89 .

- اليوسفي 759هـ /1358م

نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر ، أحمد حطيط ، عالم الكنب ، 1984 .

*Brinner

Sultan The Significance of the Harafeesh and their ,JSTOR,VOL.6.NO2.July. 1963 .